الفصل الخامس والثلاثون

مملكة تدمر

ويتصل الحديث عن النبط بالحديث عن مكان آخر له علاقة بهم أيضاً ، هو (تدمر) المعروف بـ (Palmyra) عند الغربيين الذين ورثوا هـذه التسمية عن الرومان واليونان . وهو (تدمر امور) المذكور في كتابة من كتابات (تغلت فلاصر الأول) (Tiglat-Pileser I) = (Tiglath-Piles) (١١١٧–١٠٨٠ق.م.)[١] على رأي بعض الباحثين . وقد ورد اسم المدينة وهو (تدمر) في عدد من الكتابات كما ورد اسم علم للأشخاص .

وقد رأى بعض الباحثين ان (Palmyra) من لفظة (Palma) اللاتينية ومعناها (نخل) (نخلة) ، وان الاسكندر ذا القرنين لما تغلب عليها أطلق عليها (Palmyra) أي مدينة النخل ، وذلك لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة ، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم[٢] . غير ان هذا رأي يحتاج الى اثبات ، فليس لدينا دليل من عهد الاسكندر يؤيد هذا القول . وليست لدينا حجة دامغة تثبت وجود النخل في هذه المدينة اثباتاً يستوجب تسمية الموضع

---

١ Ency., Vol., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XIIV, 547, Syria, Revue d'Art Oriental et d'Archéologie, Tome, VII, Paris, 1926, P. 77, Dhorme: Palmyre dans les Textes Assyriens, Revue Biblique, 1924, PP. 106, Ency. Brita., Vol., 17, P. 161, Reallex., I, IV, S., 280.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٨٢) ، Ency., III, P. 1020.

بـ (Palmyra) أي مدينة النخل[1] .

وهناك آراء متباينة في سبب تسمية (تدمر) بهذا الاسم ، هي موضع جدل ، وليس فيها رأي يمكن الاطمئنان الى صحته وترجيحه على غيره، لذلك أترك البحث عنه الى المراجع التي بحثته[2] .

ويظن بعض الباحثين أن (Palmyra) هي ترجمة لكلمة (تمار) (تامار) (تمر) (Tamar) العبرانية ومعناهـا (نخلة) (Date — Palm) ، وهي في الأصل اسم موضع الى الجنوب الشرقي من يهوذا ورد ذكره في (حزقيال) ، لا يعرف موضعه اليوم على وجه التحقيق[3] . ويرى علماء التوراة أنه الموضع الذي بناه سليمان والمذكور في (الملوك الأول) وان خطأ وقع قديماً في تعيين الموضع فجعل (تدمر) ، سببه أن كتبة أسفار (أخبار الأيام) أو الكتبة قبلهم أخطأوا في معرفة موضع (تامار) (Tamar) الواقع في الصحراء اليهودية جنوب البحر الميت ، فظنوا انه (تدمر) المدينة الشهيرة المعروفة ، وكتبوه (تدمر) في محل (تامار)[4] . فالأصل اذن هو (تامار) . وصارت (تدمر) نتيجة لهذا التغير في جملة المدن التي بناهـا (سليمان) . وقد كتبت (أسفار أخبـار الأيام) (Chronicles) في حوالي سنة (٣٠٠) أو (٢٠٠) قبل الميلاد ، لذلك يكون هذا التبديل والتغير قد ظهر في حوالي هذا الوقت[5] . ومنه صارت (تامار) (تدمر) ومنه أصبح معنى (تدمر) مدينة النخل ، أي (Palmyra) عند اللاتين واليونان وقد ظهرت هذه الترجمة بعد تدوين أخبار الأيام بالطبع . ومنها جاءت أسطورة بناء سليمان لمدينة (تدمر) في هذه المنطقة البعيدة عن حدود مملكة اسرائيل[6] .

---

١ Hasting, P. 889, Johannes Oberdick: Die Römerfeindlichen Bewegungen im Orient, Berlin, 1869, S., 44.

٢ Ency., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XLIV, 547, M. Hartmann, in ZDMG., XXLII, 128.

٣ حزقيال ، السفر ٤٧ ، الايـة ١٩ ، والسفر ٢٨ ، قاموس الكتـاب المقدس (١/٣٠٠) .

٤ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الاية ١٨ ، قاموس الكتاب المقدس (١/٢٨٢ وما بعدها) ،
Hastings, P. 892, Ency., III, P. 1020, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 8, P. 381.

٥ Ency. Brita. Vol. 17, P. 161, Hastings, P. 889.

٦ Ency. Bibli., P. 4886, Hastings, P. 889.

وعلى كل حال ، فإن الذي نستنبطه من قصة إضافة (تدمر) الى المباني التي نسب بناؤها الى سليمان ، هو أن هذه المدينة كانت قد اكتسبت شهرة في أيام تدوين أسفار (أخبار الأيام) وأنها كانت مدينة عامرة شهيرة فيما بين السنة (٣٠٠) و (٢٠٠) قبل الميلاد[١] .

ويجوز أن تكون الشهرة التي اكتسبتها مدينة (تدمر) (تذمر) في أيام كتبة أسفار (أخبار الأيام) هي التي حملتهم على إضافتها الى أعمال (سليمان)، لأنها (بمباني سليمان) أليق وأنسب من موضع صغير هو (تامار) ، فأضافوا هذه المدينة الشهيرة اليه ، لتدل على شهرته وعلى مدى بلوغ ملكه في أيامه . وقد أضيف الى ملك سليمان على هذا النحو من الإضافات ما لا تصح إضافته اليه ، وبولغ في ملكه وحكمه في الأيام القديمة التي تلت أيامه ، لأنه كان من أشهر ملوك (بني اسرائيل) ، حتى صارت أخباره من قبيل الأساطير .

وذهب المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) هذا المذهب أيضاً، فنسب بناء (تدمر) الى (سليمان)[٢] . أخذ رأيه هذا من هذا الموضع من التوراة بالطبع ، ومن الروايات التي وصلت اليه وكانت قد ظهرت قبله ، للسبب المذكور .

أما الروايات العربية ، فهي لا تفيد علماً ولا تصلح أن تكون دليلاً ، فهي روايات متأخرة دخلت الى المسلمين من أهل الكتاب ، أشاعها وروّجها أمثال (ابن الكلبي) بين الأخباريين ، فأخذوها بغير تحقيق ولا تدقيق . وقد ذكر (ياقوت الحموي) ان قوماً يزعمون انها مما بنته جنّ سليمان ، وان أهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل سليمان بزمان[٣] .

ولدينا أبيات نسبت الى (النابغة الذبياني) تتضمن أسطورة بناء جنّ سليمان لتدمر ، امتثالاً لأمره الذي أصدره اليها ، فقد نسب اليه قوله :

---

١ Hastings, P. 889, Die Araber, I, S., 344.

٢ Hommel, in ZDMG., XIIV, 547, Ency., III, P. 1020, P. Dhorme. Palmyre dans les Textes Assyriens, in: Revue Biblique, 1924, PP. 106.

٣ البلدان (٢/٣٦٩) ، (ثم عاد الى الشام ، فوافى تدمر ، وكانت موطنه) ، (ملك سليمان) ، الأخبار الطوال (٢٠) .

إلاّ سليمانَ إذ قال الإلـه له ، قم في البريّة فاحْددها عن الفنَد
وجيِّش الجنّ اني قد أمرتهمُ يبنون تدمرَ بالصُّفاح والعَمَد[1]

ولا يصلح شعر النابغة ولا أمثاله من شعراء الجاهلية أن يكون حجة في بناء (سليمان) لتدمر . فمن الجائز أن يكون النابغة أو غيره ، قد أخذ فكرته هذه من أهل الكتاب ، ومن الجائز أن يكون هذا الشعر من وضع الوضّاعين نسبوه اليه . وقد وضعت أشعار في الاسلام ونسبت الى الجاهليين ، والى آدم وهابيل وقابيل والجن وابليس .

وبين الأخباريين من ينسب بناء (تدمر) الى (تدمر بنت حسان بن أذينة ابن السميدع بن يزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح) . وذكروا قصة تفيد عثورهم على قبر (تدمر بنت حسان)[2] . وقد أعجبوا ببنائها ووصف الشعراء صورتين جميلتين من بقية صور كانت فيها . وقد حاصرها خالد بن الوليد ثم ارتحل عنها فبعث أهلها رسلاً وصالحوه على ما أدوه له ورضي به[3] . أما قصة العثور على قبر في تدمر ووجود جثة فيه ، فأمر ليس ببعيد ولا بغريب . وأما قصة (تدمر بنت حسان) ونسبها والكتابة التي على قبرها ، فهي من وضع الأخباريين والقصاص ولا شك[4] .

وقد أشار (بلنيوس) (بلينيوس) الى مدينة (Palmyra) ، وهو أول كاتب (كلاسيكي) عرض لها ، فذكر أنها مدينة شهيرة ، ولها موقع ممتاز ، أرضها خصبة ، وبها ينابيع وعيون ، تحيط بحدائقها الرمال . وقد عزلتها الطبيعة عن العالم ببادية واسعة الأطراف ، بعيدة المسافات ، وتقع بين انبراطوريتين عظيمتين انبراطورية (رومة) ، وانبراطورية (الفرث) (Parthia) ، ولهذا

---

١ (وخيس الجن ٠ اني قد أذنت لهم) ، اللسان (خ/ى/س) ، معجم ما استعجم (١/١٩٤) ، (وستنفلد) ، البلدان (٢/٣٦٩) ، المشرق ، السنة الاولى العدد ١١ ، حزيران ، ١٨٩٨ م (ص ٤٩٦) ، مروج الذهب (٢/٢٤٤) ، (دار الاندلس) ، (ذكر الاخبار عن بيوت النيران ، وغيرها) ٠

٢ البلدان (٢/٣٦٩) ، معجم ما استعجم (١/١٩٤) ٠

٣ البلدان (٢/٣٧١) ٠

٤ Lidzbarski, Ephemeris, I, S., 207.

استرعت أنظار الدولتين[1] . وورد اسمها في كتب (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعد (بلينيوس) مما يدل على ازدياد شهرة هذه المدينة بعد الميلاد[2] .

ويعود الفضل في حصولنا على معارفنا التأريخية عن تدمر الى الكتابات التدمرية التي درسها المستشرقون وترجموها الى لغاتهم وشرحوا ما جاء فيها ، وهي بالإرمية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية ، نشرت في كتب خاصة وفي كتب الكتابات السامية وفي ثنايا المجلات[3] ، والى كتب المؤلفين اليونان واللاتين والسريان . من هذه الموارد الرئيسية استقى المؤرخون معارفهم عن تأريخ هذه المدينة ، تضاف اليها موارد ثانوية ذكرت (تدمر) عرضاً لوجود مناسبة دعت الى ذلك مثل سجلات المجامع الكنيسية والتلمود .

أما تأريخ المدينة فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر يعود الى ما قبل الميلاد . وأكثر ما كتب عن مدينة (تدمر) يعود الى ما بعد الميلاد .

وكان غالبية أهل (تدمر) برغم كتابة أمورهم بالإرمية وبالقلم الإرمي من العرب على رأي أكثر الباحثين ، شأنهم في ذلك شأن نبط (بطرا)[5] . وهم يرون ان القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق الخصبة الواقعة في شرقي أرض (كنعان) ، بعد سقوط الدولة البابلية ، كتبوا بالإرمية، لأنها كانت لغة الكتابة

---

١ Pliny, Nat. Histo., V, XXI, 88, William Wright, An Account of Palmyra and Zenibia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert, London, 1896, P. 110. ويكون رمزه : Wright

٢ Ency. Bibli. P. 4886.

٣ راجع الموارد الاتية فيما يتعلق بكتابات تدمر :
Répertoire d'Epigraphie Sémitique, Corpus Inscriptionum Latinarum, Corpus Inscriptionum Graecarum; Cantineau. Inventaire des Inscriptions de Palmyre, Beyrouth 1930; Littmann: Semitic Inscriptions, Part IV of «The Publications of an American Archeological Expedition to Syria in 1899-1900»; Sabernheim: Palmyrenische Inschriften, in: Mittellungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1905; De Vogue: Syrie Centrale — Inscriptions Sémitiques, 1868; J.B. Chabot: Notes d'Epigraphie d'Archéologie Orientales, in: Journal Asiatique, 1897-1901; Cooke: Textbook of North Semitic Inscriptions; Syria, Tome XIV, 1933, PP. 158, 169; Cantineau: Inscriptions Palmyrennes, Damas 1930; Fr. Rosenthal: Die Sprache der Palmyrenischen Inschriffen.

٥ Fr. Rosenthal, Das Sprache der Palmyren Inschrifttten.

والثقافة في المنطقة الواسعة الواقعة غربي الفرات[1] . وتظهر في بعض الكتابات بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصيلة ، كما نجد فيها أسماء أصنام عربية مع أصنام إرمية[2] . وبالجملة فإن في (تدمر) ثقافة هي خلاصة جملة ثقافات : عربية وإرمية ويونانية ولاتينية ،وأقدم كتابة عثر عليها فيها لا يتجاوز تأريخها سنة (٣٠٤) من التأريخ السلوقي ، أي سنة (٩) قبل الميلاد[3] .

كانت تدمر عقدة من العقد الخطيرة في العمود الفقري لعالم التجارة بعد الميلاد تمر بها القوافل تحمل أثمن البضائع في ذلك الوقت . كانت على اتصال بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق في ايران والهند والخليج والعربية الشرقية ، كما كانت على اتصال بأسواق البحر المتوسط ولا سيما ديار الشأم ومصر ، كما كانت على اتصال بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال افريقية والعربية الجنوبية والهند . ان هذه التجارة هي التي أحيت تلك المدينة ، كما ان تغيّر طرق المواصلات بسبب تغيّر الأوضاع السياسية هو الذي شلّ جسم تلك المدينة فأقعدها عن الحركة بالتدريج .

لقد كانت القوافل الذاهبة من العراق الى بلاد الشأم ، أو القادمة من بلاد الشأم الى العراق ، تمر بمدينة (تدمر) . وكان الموضع الذي تحط فيه قوافل (تدمر) هو موضع (Vologesias) = (Vologesokerta) على نهر الفرات . ومن هذا المكان تنقل التجارة الى الجهات المقصودة في العراق ، ومنه تحمل تجارة العراق بالبر الى (تدمر) فدمشق[4] .

ويظهر من كتابة عثر عليها في احدى المقابر أن القوافل التجارية كانت تمر في حوالي سنة مئة قبل الميلاد بمدينة (تدمر) في أثناء أسفارها بين مدينة (دورا) (Doura) والشأم . وبين الطريق القديم وهذا الطريق ، تسكن قبائل عربية من سكان الخيام ، أي من النوع المعروف باسم (سكينيته) (Skenita) عند (الكلاسيكيين)[5] .

---

١ Ency. Brita, 17, P. 161.

٢ Syria, XIV, 1933, Nöldeke: Uber Orthographie und Sprache des Palmyrener, in ZDMG., XXIV, 1870, S., 85.

٣ Cooke: Northsemitic Inscriptions, No. 141, Vögue: Syrie Centrale, No. 30a, Ency., Brita., 17, P. 162.

٤ Die Araber, II, S., 61.

٥ The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 599.

وقد اقتضت هذه الأعمال التجارية الواسعة تكوين علاقات سياسيـــة واقتصادية مع الفرس والرومان والروم والقبائل العربية في البادية التي لم يكن من الممكن مرور قوافلها في أرضها بسلام ما لم يتفق مع سادتها على دفع إتاوة سنوية ، أو جُعْل معلوم . ولضمان سلامة قوافلها ، اضطرت كما اضطر غيرهـا إلى إرسال حرّاس معها وإلى انشاء مواضع للحماية والاستراحة في مواضع متعددة من البادية . ونجـد في الأخبار أن التدمريين جمعوا فلول أهل المدينة الذين سرّحوا من الجيش الروماني أو الذين أجبرهم الاضطراب أو ضعف قادة الجيش الروماني أو عنجهيتهم على ترك الخدمة في جيش الرومان ، وألفوا منهم جيشاً درب تدريباً حسناً ، وصار قوة مقاتلة متفوقة على قوات الأعراب بما توفر عندها من حسن التدريب والطاعة والنظام ، واستطاعوا بهذه القوات من الهيمنة على أبناء البادية الجيـــاع الى الغزو والسلب ونهب القوافل ، ووضعوا لهم حاميات في المراكز الضرورية الحساســة . فقد ورد في الكتابات أنه كان لهذه المدينة حامية (Militia) في (عانة)(عاناتا) (Anath) = (Anatha) في عام (١٣٢) و (٢٢٥) بعد الميلاد ، وفي (الحيرة) (Hirtha) في سنة (١٣٢) بعد الميلاد وفي (دورا) (Doura) في سنة (١٦٨) و (١٧٠) للميلاد[1] .

وقد عثر على مدافن بمقربة من القدس وجدت فيها كتابات تدمريـــة دوّنت عليها أسماء أصحاب تلك القبور ، ويظهر أنهم من جنود (تدمر) الذين التحقوا بالجيش الروماني ، وخدموا فيه ، وقد اشتركوا مع الرومان في محاصرة القدس . ويجوز أن يكون بعضهم من التجار جاؤوا الى هذه المدينة ، فأقاموا بها للاتجار .

وقد كوّن الرومان فرقاً من الجنود التدمريين المرتزقـــة الذين التحقوا بالجيش الروماني ، فاستفادوا منهم في قتال القبائل الغازية بصورة خاصـــة وفي القتال في البوادي لخبرتهم بهـــا ولقدرتهم على القتال في هذه المواضع وتمكنهم منها ، كما استخدموهم في قتال الفرس ومن كان في خدمتهم من الأعراب . واشتهر التدمريون في فن الرماية ، فكانوا في أيامهم من خيرة الرماة بالسهام ، ولذلك استعان بهم الرومان وألفوا كتائب منهم اشتهرت في الحروب . ولما سقطت (تدمر) احتفظ

---

١ Byrtus, Vol., III, Fasc., I, 1943, P. 25, 55, CIS. II. 3973. A. Cantineau: Syria. XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234.

الرومان بهم في جيوشهم ، فاستخدموهم في حروبهم في شمال إفريقية . وقد عثر على كتابات أثبتت انهم كانوا في جملة القوات الرومانية التي كانت في بريطانية[1].

واشتهر التدمريون بفرسانهم كذلك ، فقد ألف (أذينة) قوة من القوات الراكبة لمحاربة أعدائه ، جهزها بأسلحة واقية من دروع ومن صفائح من المعدن يلبسها الفارس من أعلى رأسه الى أسفل قدمه ، فلا يستطيع عدوّه أن يناله بأذى، كما درعت الخيل والجمال بصفائح الوقاية ، على نحو ما كان يفعله الفرس في قوافلهم الراكبة في أثناء القتال . وقد اكتسبت هذه القوّات شهرة واسعة في حروبها مع الفرس والرومان[2] .

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين . أما أطرافها وحواليها ، فكانوا أعراباً ورعاة . وكانت مدينة يونانية ولكنها لم تكن مثل المدن الأخرى المتأثرة بالهيلينية في الشرق ، ولم تخضع لنظام المدن اليونانية (Greek Polis) ، وكانت خاضعة للرومان وبها حامية رومانية ، ولكن خضوعها كان في الواقع صورياً ، كما أن الحامية لم تكن شيئاً تجاه أهل المدينة والقبائل المحيطة بها . كانت المدينة بالرغم من الطابع الهليني – الروماني الذي يبدو عليها ، مدينة شرقية ، الحكم فيها في يد الأسر ذات السلطان في البلدة تحكمها في السلم والحرب . لقد خلقت الاضطرابات السياسية التي حدثت في الشرق لضعف الحكومات الكبرى وانحلالها وانقسامها الى (ملوك طوائف) جماعة من الحكام السادات (Tyrannies) تزعموا القبائل أو المدن ، وشاركوا الحكومات في الحكم. ومن هؤلاء الأسرة التي حكمت (تدمر) . والأسرة التي حكمت (حمص) (Emesa) = (Hemesa)[3] .

وكانت في تدمر جاليات يونانية ورومانية ، أقامت فيها وفضلت السكنى فيها على المواضع الأخرى . أقامت بين أهل المدينة حتى صارت من سكان المدينة ، كما كانت فيها جاليات يهودية نزحت اليها في زمن لا نستطيع تعيينه بالضبط ، قد يكون قبل سقوط القدس في أيدي الرومان بأمد للاتجار ، قامت بأعمال التبشير بين

---

١ Enc. Brit. 17, P. 163, Cooke, NSI, PP. 250 312, Lidzbarski, Ephemèris. II, S., 92.

٢ Die Araber, II, S., 259.

٣ Byrtus, Vol., III, I, 1943, P., 54, M. Rostovtzeff: Social and Economic History of the Hellenistic World, Ch., VI, PP., 842, 852.

السكان ، فتهوّد أناس منهم ، ورحل قسم من هـؤلاء المتهودين الى القدس ، وأقاموا فيها قبل خراب الهيكل بأمد[1] .

تمكنت هذه المدينة الصحراوية من رفع منزلتها من منزل منعزل في البادية تنزل به القوافل الى مكانة مدينة من الدرجة الأولى ، ومركز ديني خطير لعبادة الأصنام يحج اليه أعراب البادية،وسوق للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها وتجمعت فيه رؤوس الأموال والذهب والفضة والجواهر ولا سيما بعد سقوط (بطرا) بأيدي الرومان ، وذهاب ملكهم ، فانتقلت أسواقهم الى أيدي التدمريين . وتولت قوافل (تدمر) نقل البضائع بين العراق والشأم مخترقة البادية الى المرافىء العراقيـة على الفرات . وقد عادت هذه القوافل على المدينة بخير عميم من أجور الوساطة في البيع والشراء ومن الضرائب التي تجبيها عن البضائع التي تمر بها أو تباع فيها ، والتي يحددها مجلس سادات المدينة . وتتبين مظاهر هذه الثروة في المباني الجميلة المنقوشة والتي تتحدث آثارها عنها ، وفي بقايا الهياكل والأعمدة المرتفعة الجميلة المصنوعة من الحجر الصلد المصفوفة على جانب الشارع الكبير من قوس النصر المقام عند المعبد الكبير الى نهايته في مسافة لا تقل عن (١٢٤٠) ياردة[2] .

ولما كانت (تدمر) مدينة حياتها الأساسية بالتجارة ، صار للتجار وأرباب القوافل ولزعماء القوافل شأن خطير في الحياة الاجتماعية للمدينة ، حتى أشير اليهم في الكتابات ، حيث كثر فيها ورود ذكر (زعيم القافلة) و (زعيم السوق)[3] .

ومدينة مهمة لها مال وثروة وليس لها جيش ضخم قوي ولا مجـال لتكوين هذا الجيش فيها ، لا يمكن أن تبقى في مأمن ومنجاة من مطامع الطامعين . ولو كانت في بقعة منعزلة وفي بادية بعيدة . فقد كان لعاب الدول القوية يسيل عند سماعها بوجود شعوب صغيرة أو حكومات مـدن أو مواضع ذات ثراء ومال ، فتكتب اليها إما باعطاء ما عندها اليها ، وإما بدفع جزية ترضيها،راضية مرضية، وإما أن تمتنع فتزحف جيوشها عليها عندئذ فيكون كل ما يصل اليه يدها حلالاً طيباً ، ويكون الناس لها عبيداً وخولاً ، لا نستثني (تدمر) من هذا الولـع

---

١ The Universal Jewish Encyclopedia, 8, P., 381.

٢ Ency. Brita., 17, P., 162, Syria, XXIV, 1933, P., 396, «Premières Restaurations à l'Arc Monumental de Palmyre», by Robert Amy;

٣ Cooke: North-Semitic, PP., 274, 279.

الانساني بالحصول على الثراء السهل بالطبع . لذلك طمع فيها الطامعون من شرقيين وغربيين . طمع فيها أهل العراق ، وطمع فيها الفرس ، وطمع فيها اليونان والرومان والبيزنطيون . وكان أول طامع فيها وصل خبره الينا من الفاتحين الأقوياء هو الملك (تغلت فلاصر) (تغلات بليزر) (Tiglath — Pilezer) الأول ، تلاه جملة غزاة ورثوا الحكم والملك والتسلط في أرض الشرق الأدنى .

واذا عرفنا ان (تغلت فلاصر الأول) (١١١٧ — ١٠٨٠ ق. م.)، كان قد استولى عليها ، فإن ذلك ينفي ما ورد في أخبار اليهود من بناء سليمان لتلك المدينة على نحو ما ذكرت . فقد جاء حكم (سليمان) بعد حكم هذا الملك الآشوري بنحو قرن ، وقد كانت المدينة قائمة قبل ذلك الملك بالطبع .

وقد صارت (تدمر) في جملة الأرضين التي أخضعها (الاسكندر) الكبير لحكمه . لحكم تلك الامبراطورية التي أراد أن يكوّنها في ذلك العالم ، ليوحد فيها الأجناس والأديان ، وليقيم مملكة واحدة على هذه الأرض . ومن عهد الاسكندر ظهر اسم (تدمر) الأجنبي ، أي (باميرا) (Palmyra) بين اليونان واللاتين[1] .

ولما انقسمت دولة (الاسكندر) قسمين ، صارت (تدمر) من نصيب (السلوقيين) على ما يظهر . ولكننا لا نعلم شيئاً عن عهد استيلائهم عليها ، ولا عن مدة بقائهم فيها . وقد حاولت (تدمر) أن تقف موقف الحياد بين (الفرث) والرومان ، وتمكنت من ذلك أمداً ، اذ كان من مصلحة الدولتين المتنافستين وجود محل منعزل محايد، كي يتمكن تجار الدولتين من الاتجار فيه ومن التسوق منه[2].

وقد قام أحد القادة السلوقيين ببناء حصن ليضم اليه الجنود المقدونيين في مدينة (تدمر) . فعل ذلك سنة (٢٨٠) قبل الميلاد . ولعلّ هذا الحصن ، هو واحد من سلسلة حصون أقامها السلوقيون في المواضع المهمة ذات المكانة الخطيرة من الوجهة السياسية والعسكرية والتجارية لحماية مصالحهم فيها[3] .

ولا يعرف تأريخ خضوع تدمر للرومان معرفة أكيدة . وقد ورد في تأريخ (أفيفانوس) أن (مرقس أنطونيوس) القائد الروماني بعد أن حارب الملوك

---

١ Agnes Carr Vaughan, P., 7, New York, 1967.
وسيكون رمزه : Vaughan

٢ Vaughan, P., 8.

٣ Freya Sterk: Rome on the Euphrates, P., 242, New York, 1967.

(الأرشكيين) ، ودارت عليه الدوائر توجه الى الشأم عائداً من ثم الى (روما). فلما قرب من (تدمر) أوفد الى أهلها رسلاً يخبرونهم أنه قاصد مدينتهم ليريح فيها جنوده من أتعاب الحرب ومشقة الطريق . وكان يريد في نفسه الاستيلاء على المدينة وأخذ ما فيها من أموال ونفائس . فأحس التدمريون بالمكيـــدة ، وبادروا الى نقل أموالهم وما يملكون من أشياء ثمينـــة ، فتعقبهم الرومان حتى أدركوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين[1] . أما المدينة نفسها فقـد حلّ بها الخراب وأصبحت ركاماً ، وكان ذلك في حوالي سنة (٤١) قبل الميلاد[2] .

وفي أيام القيصر (طيباريوس) (طبريوس) (Tiberius) (١٤ — ١٧ م) كانت (تدمر) في جملة الأرضين التابعة لحكم الرومان[3] .

ونجد بين الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة قوائم (كمركية) تبـــين بعض الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع وأثمانها باليونانية والتدمرية يعود تأريخها الى سنة (١٧) بعد الميلاد[4] .

ويظهر من قائمة الضرائب التي وضعت في أيام (جرمانيكوس) (Germanicus) (١٧ — ١٩ م) لجبايتها عن البضائع التي ترد دوائر (كمارك) المدينة ، وفي أيام (دوميطيوس كوربوالـــو) (Domitius Corbulo) (٥٧ — ٦٦ م) أن مدينة (تدمر) كانت في نفوذ وحكم (روما) في العصر الأول للميلاد . وقد كانت تابعة للرومان في أيام الأنبراطور (فيسبسيان) (Vespasian) (٦٠—٧٩م). غير أن هذا لا يعني انها كانت خاضعة للرومان خضوعاً تامـــاً ، وأن الاشراف على شؤون المدينة كان كله بأيدي موظفي (روما) ، بل كان ذلك اشرافاً عاماً ، أما الادارة ،فكانت بأيدي أهل المدينة[5] . وأن الحكم الروماني لم يتدخل في أمورها تدخلاً فعلياً . حتى ان الرومان سمحوا للمدينة الاحتفاظ بحامياتها (Militia) التي

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، العدد ١٣ ، ١ تموز ١٨٩٨ (ص ٥٨٨) ،
Appian: De Bello Civili, V, 9, Wright, P., 110.

٢ Oberdick: Syria, Tome, VII, S., 46, 1926, P., 77, Mommsen: Römische Geschichte, 1894, V.S., 243, Ency. Brita., 17, P., 162, Syria. XXII, 1941, PP., 170.

٣ Vaughan, P., 8.

٤ Cooke, PP., 313-332, J. A. Chabot, II, 301.

٥ Ency. Brita., 17, P., 162, Jean Starcky: Palmyre, Paris, 1952, PP., 27.

كانت لها في الخارج في مثل موضع (Vologasia) وفي مواضع أخرى[1] .

وقد زارها الانبراطور (هدريانوس) (Hadrianus) (١١٧ — ١٣٨ م) سنة (١٣٠) بعد الميلاد، ومنحها لقب (هدريانا بالميرا) (Hadriana Palmyra) و (هدريا نوبوليس) (Hadrianopolis)[2] ، وعثر فيها على كتابة مدوّنة بالإرمية واليونانية يرتقي تأريخها الى سنة (١٣٧) بعد الميلاد ، أي الى أيام هذا الانبراطور ، جاء فيها أشياء تخص الأحوال التجارية في هذه المدينة أصدرها مجلس سادات المدينة لتنظيم التجارة ، وتثبيت الضرائب ، وكيفية الجباية وما الى ذلك من أمور . وهي من الكتابات المهمة الطويلة التي ترينا ناحية خطيرة من نواحي حياة تدمر[3] .

وقد بذل (هدريانوس) عناية كبيرة بـ (تدمر) ، حتى قيل فيه انه مؤسس المدينة الثاني . واعتنى عناية خاصة بحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر (الفرات) الذي كان شرياناً مهماً من شرايين التجارة العالمية في ذلك العهد . فقد كان يقوم بالمهمة التي عهدت الى (قناة السويس) ، فيما بعد . ولأهمية هذا النهر الذي هو الممر المائي الذي يوصل تجارة ذلك المحيط الغالية الى الموانىء الواقعة عليه ، سعى لتحسين صلاته بالفرس وبالمحافظة على الأمن في البادية ، لتتمكن القوافل من المرور منها بأمن وسلام . وأوصل حامياته الى شواطىء الفرات الغربية ، بل يقال انه أنشأ أسطولاً فيه، وان التجار التدمريين أقاموا في مدينة (Vologasia) وأقاموا لهم معبداً هناك ، ليتعبدوا فيه لإلههم الذي منحهم الخير والرفاه[4] .

وقد منحت (تدمر) درجة مستعمرة رومانية عليا ، فاكتسبت بذلك حق الامتلاك التام والاعفاء من الخراج ، والحرية الكاملة في ادارة سياسة المدينة . ونالت الحقوق الايطالية (Italici Juris) (Colonia Juris Italici) (Jus Italicum).

---

١ Freya Stark: Rome on the Euphrates, P., 244.

٢ (هدريانوس) ، الطبري (١/٧٤٢) ، (طبعة ليدن) ، (٢/٢٥) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ، ١٥ حزيران ، ١٨٩٨ ، (ص ٥٣٨) ، Ency. Brita., 17, P., 162, Cooke, P., 322, Mommsen: Römische Geschichte, V., S., 423, Wright, P., III.

٤ Mommsen: Provinces of the Roman Empire, II, P. 236, Rostovtzeff: Caravan Cities, Oxford, 1932, P., 144, Leon Homo: Le Siècle d'Or de l'Empire Romain, Paris, 1947, P., 224 Fr. Stark: Rome, P., 253.

منحت هذه الدرجة في ايام (هدريانوس) على رأي ، أو في أيام (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) (١٩٣ — ٢١١ م) على رأي آخر[١]. وكانت تتمتع بهذه المنزلة في أيام (كراكلا) (Caracalla) (٢١١ — ٢١٧ م) كذلك[٢] . ولكن منحها درجة (مستعمرة) لا يعني انها صارت مقاطعة رومانية مئة بالمئة ، بل كانت في الواقع حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في ادارة شؤونها خاضعة خضوعاً شكلياً لحكم الرومان[٣] .

وقد استفادت (تدمر) من سياسة (هدريانوس) المنطوية على الميل الى السلم ومجانبة الحرب ، ومن سياسة (انطونينوس بيوس) (Antoninus Pius) (١٣٨ — ١٦١ م) الذي نشر ألوية السلم والطمأنينة ، فوسعت تجارتها، وزادت في عدد قوافلها ، وحصلت على ثروة طائلة . وتعدّ المدة المنصرمة بين سنة (١٣٠) و (٢٧٠) بعد الميلاد من أحسن أيام هذه المدينة . فالى هذه الأيام ترجع معظم النصب والآثار العظيمة التي ما برحت تشاهد بقاياها في جملة ما يشاهد من أشلاء المدينة وجدثها المهشم بين الأتربة والصخور .

وقد كانت في تدمر حامية رومانية أيامَ (ماركوس أوريليوس) (مارقوس أوريليوس) (Marcus Aurelius) (١٦١ — ١٨٠ م) ، على طريقة من سبقه من الحكّام في وضع حامية رومانية في هذه المدينة .

ولسلطان (رومة) على تدمر ، استفاد الرومان من المحاربين التدمريين وكونوا منهم فرقاً وكراديس لحماية الطرق ومصالحهم الممتدة في البوادي ، فأودعوا أمر

---

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٢ ، ١ تموز (ص ٥٨٩) ، Wright, P., 112. Syria, Tome, XIV, 1933, P., 32, The Cambridge Ancient History, Xii, 1, 2, P., 18.

٢ المشرق ، الجزء المذكور ، Syria, XIV, 1933, P., 32, Rowell: Inscriptions Grecques de Doura Europos, 1929-1930, PP., 265.

٣ Rostovtzeff: Social and Economic History of the Roman Empire, P., 532, Syme: Cambridge Ancient History, XI, P., XI, P., 139, Dessau: Geschichte der Römischen Kaiserzeit, II, S., 627; Kornemann - Volker: Staaten; Ency. Brit., 17, P., 163; Cooke, NSI, PP., 250, 312, Lidzbarski: Ephemeris; Manner, S., 99, III, Jonnes: Cities of the Eastern Roman Empire, P. 267, Février: Essai sur l'Histoire de Palmyre, P. 14.

الدفـــاع عن (دورا) (Doura) الى الكـــردوس التـــدمري العشرين (XXth Cohore Palmyrenorum) [1] . وتركوا مهمـــة حراسة (الفنـــادق) (Funduq) التي أقامها الرومان على الطريق الى كراديس الرماة التدمريين لحماية القوافل من لصوص الطرق والسالبين[2] .

وقد تأثرت (تدمر) بأصول اليونان والرومان وطرقهم في ادارة الحكم، فكان للمدينة مجلس (شيوخ) (Senatus) له سلطة سن القوانين والتشريع ، ولـــه رئيس وكاتب وجملة أعضاء. ويشرف على السلطة الاجرائية شيخان (Archontes) وديوان يتألف من عشرة حكام . أما السلطة القضائية فينظر فيهـــا بعض الوكلاء (Syndices) وغيرهم من العمال[3] .

ويحمل موظفو المدينة عناوين يونانية تشير الى أثر التنظيم اليوناني فيها ، وإلى انها كانت تنفذ النظم الادارية اليونانية في أعمال الشعب. فالرئيس هو (Proedros) والكاتب أي (السكرتير) هـــو (Grammateus) ، وهنالك عناوين وظائف أخرى هي : (Archontes) و (Syndicus) و (Dekaprotoi) ، وهي المجالس المحلية التي يتألف كل مجلس منها من عشرة أعضاء . جرى هذا التنظيم عـــلى وفق نظام المدن اليونانية في حماية (الانبراطورية) الرومانية[4] .

ودعيت السلطة التنفيذية ، المؤلفة من أعضاء مجلس الشيوخ ، وكذلك الشعب بـ (Strategoi) وهي تعادل (Duumviri) (Dumviri) عند الرومان[5] .

وتجمل التدمريون الذين حصلوا على حقوق (مواطن روماني) بأسماء رومانية مثل (سبتيميوس) (Septimius) و (يوليوس أوريليوس) (Julius Aurelius) وضعوها في مقدمة أسمائهم النبطية أو العربية[6] . وقـــد فعل ذلك قبلهم العبرانيون ونبط (بطرا) وسكان بلاد الشأم وغيرهم من الضعفاء الذين يظنون انهم سيكتسبون بهذه المحاكاة الاحترام والتقدير . والضعيف انما يتشبه بالأقوياء ليخفي ضعفه .

---

١ Ancient Cambridge History, XI, 3, 4, P. 116.

٢ R. Dussaud: Pénétration des Arabes en Syrie, 73.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ، ١٥ ، حزيران ، ١٩٦٨ م (ص ٥٤٢) .

٤ Ency. Brita., 17, P. 161.

٥ Ency. Brita., 17, P. 162.

٦ Ency. Brita., 17, P. 162.

أسرة (أذينة) :

كان للانقلاب الذي وقع في مملكة الفرث أثر كبير في حياة مدينة تدمـــر ، وأعني بهذا الانقلاب ثورة (أردشير بن بابك بن ساسان) على الملك (أرطبان) الخامس ملك الفرث ، وتأسيسه حكومة جديدة هي دولة (الساسانيين) (٢٢٦م)[١] . فكان من نتائج ظهور الدولة الساسانية تجدد الحروب بين الرومان والفرس ووقوع معارك بين الدولتين .

وقد أحسنت أسرة عريقة من أسر (تدمر) الاستفادة من هـذه الحروب ، وجر المغانم اليها ، والحصول على مركز عال لدى الرومان . وزعيم هذه الأسرة هو (أذينة) من (بني السميدع) ، ينسبه (الطبري) الى (هوبر العمليقي) (العملقي) من عاملة العماليق ، فهي من بقايا (العماليق) على رأي الأخباريين[٢] .

و (أذينة) من أسرة قديمة معروفة ، تولى رجالها رئاسة تدمر والزعامة عليها ، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقربها اليهم أن تكتسب ودّ القياصرة وعطفهم عليها والانعام على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال في بعض الأحيـان ، وبالقوة والمعونة وهي غاية كل سيد قبيلة وأمنية كل رئيس في مجتمع قبلي يقوم النظـام السياسي والاجتماعي فيه على مفهوم الحكم القبلي في كل زمان ومكان . ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها على المدينة اذ كانت أحكامهم لا تعارض أحكام (رومة) ولا تصطدم بها . فتركوهم يديرون شؤونها عـلى وفق السياسة الرومانيـة وارادة القياصرة وأوامرهم التي يصدرونها الى (المشيخة) ،فكانوا يعدّونهم (Procuratores) لدى قياصرة الرومان[٣] .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء نفر من رجال هذه الأسرة ،منهم (نصور) (Naswar) (Nasores) (نصر) (ناصور) ، وهو جدّ (أذينة) . واسمه يشير الى اسم عربي الأصل هو (نصور) أو (ناصر) أو (نصر) تحوّل

---

١ الطبـــري (١/٣٥٤ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ ـ ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ ، ٧٩٩ ، ٨١٣ ـ ٨٢٥ ، ٨٣١ ـ ٨٣٣ ومواضـع أخرى) ، (طبعة ليدن) ، مروج الذهب (١/٢٠٦) (طبعة دار الرجاء) .

٢ (أذينة بن السميدع بن هوبر) ، مروج الذهب (٢/١٦) ، الطبري (٢/٣١) .

٣ Zosim, I, 39, Oberdick, S. 22.

الى (نصرو) ليلائم النطق النبطي . وهو والد (وهبلات) (وهب اللات) (Vahballatat) (Vaballathus) ، و (وهب اللات) ، هو والد ولد اسمه (خيران) (حيران) (Airanes) . و (حيران) (خيران) ، هو والد (أذينة)[1] .

و (نصور) اذن هو أقدم من وصل الينا اسمه من أسماء الأسرة التي حكمت مدينة (تدمر) . وهو شخص لا نعرف عنه شيئاً ما . وقد يكون مِنْ سادات القبائل في الأصل مَنْ جاء الى هذا المكان فاستقر فيه ، وتولى نسله أو هو الحكم فيه . وقد يكون لهذا الاسم صلة بـ (نصر) الذي ينسب أهـل الأخبار ملوك الحيرة اليه ، فيقولون انهم من (آل نصر) .

وكان (سبتيميوس خيران) ، على رأس مجلس المدينة ، ولقبه الرسمي الذي عرف به عند أهل مدينته (رأس تدمر) (رش تذمور) إضافة الى لقبه الذي لقبه به الرومان[2] . وقد تمكن من تثبيت حكم أسرته ومن الهيمنة على شؤون المدينة ومن توسيع تجارتها ، فاكتسب بذلك منزلة كبيرة عند أهل تدمر ، وعند الرومان. ورافق (سبتيميوس سويروس) (١٩٣ — ٢١١ م) في حروبه مع الفرث وتقرب اليـه ، ولقب نفسه بـ (سبتيميوس) ، فصار اسمـه (سبتيميوس خيران) (سبتيميوس حيران)[3] .

وقد عثر على كتابة يرجع الباحثون زمان كتابتها الى حوالي السنة (٢٣٥) للميلاد، أو بعد ذلك بشيء قليل ، ورد فيهـا اسم (أذينة بن خيران بن وهب اللات ابن نصور) . وقد لقب (أذينة) فيها بلقب (سقلطيق) (Skiltyk) . وقد كان يحمل لقب عضو في مجلس (الشيوخ) الروماني[4] .

وقد نعت (سبتيميوس أذينة) بـ (سقلطيقا) (Skiltyka) في الكتابة التي دونت لتكون شاخصاً لأحد القبور . وقد حصل على لقب عضو مجلس الشيوخ ، ثم لقب نفسه بلقب (ملك) (Rex) ، وذلك في حوالي سنة (٢٥٠) للميلاد[5] .

---

١ J. Cantinau: Inventaire des Inscriptions de Palmyra, 8, 1936, No. 55, Die Araber, II, S., 252; Oberdick, S., 152, Syria, Tome XII, 1931, J. Cantineau: Palmyrenien Provenant du Temple de Bel, PP. 138.

٢ Cooke, NSI, No. 125, Die Araber II, S. 252.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م (ص ٥٩٠) .

٤ Die Araber, II, S., 252.

٥ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م ، (ص ٥٩٢) .

وجمع الناس عليه، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم، فأوعز القيصر الى (روفينوس) (Rufinus) باغتياله ، فقتل وتخلص الرومان منه[1].

ومن ولد (أذينة) ، (سبتيميوس خيران) (حيران) (Septimius Hairan) تولى رئاسة تدمر بعد مقتل أبيه[2] . وقد ذكر اسمه في كتابة دونت سنة (٢٥١) للميلاد ، ولم يصطدم بالرومان . وقد كان مثل أبيه بدرجة (Senator) كما لقب أيضاً بلقب (رش تدمور) ، أي (رأس تدمر) (رئيس تدمر)[3] . ولقب بلقب (Exarkus) (Exarchus)[4] .

ولما مات (سبتيميوس خيران) ، خلفه (أذينة) (Odenatus) على شؤون المدينة . ولم يرد نسبه في النصوص،فلا ندري أكان ابناً أم شقيقاً لـ (سبتيميوس خيران)[5] . وقد ذهب بعضهم الى انه كان أخاه[6] . وكان شجاعاً فارساً ألِفَ حياة البداوة جريئاً ، محباً للصيد ولا سيما صيد الذئاب والفهود والأسود[7] . تولى قبل انتقال الحكم اليه قيادة الجيش والقوافل ورئاسة قبائل البادية،فكانت له مؤهلات خاصة وكفايات حسنة مكّنته من رفع شأن (تدمر) في أعين الرومان ، ومن تكوين اسم لها عند رجال الدولتين المتزاحمتين .

وقد تبين من كتابة دونت سنة (٢٥٨) للميلاد ومن كتابتين أخريين انه كان يحمل درجة قنصل (Vir Consularis) في عهد القيصر(فاليريانوس) (Valerianus)[8] كما كان يحمل لقب (مرن) ، أي (سيدنا) ، وهو اللقب الذي يستعمله أهل (تدمر) ، وهو يعادل لقب (Exarkos) (Exarchos) في اليونانية[9] .

---

١ Oberdick, S. 22, Wright, P. 115.

٢ يرى (Oberdick) أن (روفينوس) قتل (سبتيميوس خيران) الابن الأكبر لـ (أذينة) مع والده ، لذلك تولى (أذينة) الثاني الحكم بعد مقتل أبيه فورا ، Oberdick S. 22.

٣ Die Araber II, S. 252.

٤ Die Araber, II, S., 252, Cantineau, 3, No. 16.

٥ Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, No. 16.

٦ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .
Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, 22.

٧ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .

٨ Die Araber II S., 253, H. Seyrg, in: Annales Archéol. de la Syrie, 13, 1963, 159, 162, J. Cantineau, 3, No. 17, Ency. Brita., 17, P. 162, Cooke, NSI, No. 126.

٩ Die Araber, II, S. 253.

وقد ذكر بعض المؤرخين ان (أذينة) الذي نتحدث عنه كان ابناً لـ (أذينة) ابن (خيران) ووالد (سبتيميوس خيران) ، وانه كان قد هرب الى الجبال وألف حياة البداوة والربى منذ صغره لينتقم من الرومان الذين اغتال قائدهم (روفينوس) (Rufinus) أباه[1] . فلما انتقل الحكم اليه ، عمل جهده على الأخذ بثأر أبيه ، فراجع (فاليريانوس) (والريانوس) شاكياً اليه ما فعله (روفينوس) بأبيه ، طالباً منه انزال العقاب به . أما القيصر ، فلم يأبه لهذه الشكوى ، ولم يحسب لها حساباً ، فغاظ ذلك (أذينة) وأزعجه وحمله على التفكير في الاتصال بأعداء الرومان،وهم الفرس[2] . فلما بلغه نبأ زحف(فاليريانوس) على الفرس في عام (٢٥٩) بعد الميلاد وخيانة قائده (مكريانوس) وسقوط القيصر أسيراً في أيدي الفرس على مقربة من (الرها) ،أرسل رسلاً الى (سابور) حملهم هدايا كثيرة وكتاباً يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في مصالحته ومحالفته . فلما بلغ الرسل معسكر الملك ، وطلبوا ملاقاته لابلاغه الرسالة ، استكبر عليهم وتجبر، وأظهر عجبه من تجاسر (شيخ) على الكتابة اليه ، ومخاطبته مع أنه (ملك الملوك)، وهو رئيس مدينة في بيداء قفرة لا قيمة لها ولا أهمية ! ومن يكون أذينة ؟ هذا الرجل الذي دفعته حماقته الى التجاسر على سيده بالكتابة اليه ؟ فإن كان له أمل في عقوبة خفيفة ، فليأت إليّ ويداه مغلولتان الى ظهره ! وإن لم يفعل ، فليعلم بأني سأهلكه وأهلك أسرته وأنزل الدمار بمدينته ؟ ثم مزّق الرسالة ، ورمى بالهدايا تحت قدميه[3] . فعاد الوفد كاسف البال خائفاً مما قد يقوم به هذا الملك المغرور الطائش من عمل تجاه مدينة خسرت الرومان ، ولم تحظ بالاتفاق مع الساسانيين .

ولما رجع الرسل الى تدمر وأعلموه بما جرى ، قرر الأخذ بثأره من هذا الملك المتغطرس الطائش ، فجمع القبائل بظاهر تدمر وجعلها تحت امرة ابنه (هروديس) ، وضم اليها فرسان تدمر بقيادة (زبدا) كبير قواده، وقوّاسيها

---

١ Oberdick, S. 22, Wright, P. 115.

٢ (والريانوس) ، (والريبانوس) ، الطبري (١/٧٤٣) ، (ليدن) .

٣ أمر سابور برمي الهدايا في النهر ،
Oberdick, S., 23, Wright, P. 118 Gibbon: The Decline and Fall of the Ro-Empire, Vol., I, P. 236.

بقيادة (زبّاي) ، وهما من (آل سبتيميوس) أي من أقرباه أذينة ، وحشد معهم بعض الكتائب الرومانية وفلول جند (والريانوس) وسار على رأس هـذا الجيش قاصداً المدائن للانتقام من (سابور) الذي كان قـد انشغل بغزو الأنحاء الشمالية ، ولانقاذ القيصر من الأسر[1]

وفي أثناء زحف (أذينة) على المدائن ، وصلته أنباء تغلب القـائد الروماني (كاليستوس) على الفرس ، وتشتت شملهم وهربهم ، فغير اتجاهه وأسرع اليهم لملاقاتهم ، وقد أدركهم قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات،فالتحم بهـم وتغلب عليهم،وولى (سابور) مع فلول جيشه مذعوراً تاركاً أمواله وحرمه غنيمة في أيدي التدمريين.ولم يتمكن الفرس من عبور نهر الفرات الا بعد تعب.ولما عبروه هنأ بعضهم بعضاً على السلامة والنجاح[2] . اما أذينة، المنتصر الظافر ، فكتب الى (غاليانوس ابن والريانوس) (كاليانوس بن والريانوس) يخبره بهزيمة الفرس ، وباخلاصه للامبراطورية ، ففرح القيصر بالطبع بخبر النصر فرحاً عظيماً ، وأنعم عليه بدرجة قائد عام على جميع عساكر المشرق (Dux Romanorum) ، وحثه على مواصلة الحرب لانقاذ (والريانوس) والده من الأسر[3] .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) (ملالس) الى ملك دعاه (Enath) ، ذكر انه كان ملك العرب (السرسين) (Saracens) الأجلاف الغلاظ وحاكم (العربية) وحليف الرومان ، وذكر انه هاجم ملك الفرس (سابور) في ايام (والريانوس) وكان قد سار الى حدود الامبراطورية الساسانية،وتوغل فيها وأوقع خسائر بالفرس[4]. وقد قصد به الملك (أذينة) هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويظهر أن (أذينة) كان يتحبب الى الرومان ، فأنعموا عليـه بالألقاب ، ومن ذلك لقب (Vir Consularis) الذي كان يحمله في عـام (٢٥٨) للميلاد . وقد منح قبل هذه السنة على ما يظهر . ولعلّ ضغطه المتزايد على الفرس هـو

---

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) .
Oberdick, S., 23, Wright, P. 118.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) ، ويروى (بالستا) ، Wright, P. 118, 119, 120, Oberdick, S., 23, 24.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، (ص ٦٣٩) ، ١٨٩٨ م ،
Wright, P. 120, Ency. Brita., 23, P. 944.

٤ Malalas, XXIII, 5, 2, Musil, Palmyrena, P. 247.

الذي حملهم على ترك (دورا) (Dura) (Doura) ففسح بذلك المجال لعودة الحامية الرومانية الى هذه المدينة ، فرفع ذلك من شأنه في أعين الروسان[1] .

وتمكن (أذينة) من تحرير الجزيرة من الفرس،وفتح (نصيبين) (Nicibis) (Nisibis) و (حرّان) فاستقبل هو وجنوده استقبالاً عظيماً . وكان الناس يذكرون بازدراء (غاليانوس) الذي تركهم فريسة للفرس[2] . ثم سار بجيوشه الى (طيسفون) (Ktesiphon)[3] (٢٦٤ م) ، فخاف (سابور) وأمر بجمع كل ما عنده من قوات للدفاع عن عاصمته ، غير انها لم تتمكن من وقف زحف التدمريين فوصل (أذينة) الى (المدائن) وحاصرها ، ونصب المجانيق وآلات الحصار لفتحها ، وكاد (سابور) يلتمس منه الأمان لولا حدوث حادث أكره أذينة على ترك الحصار والتراجع ، هو خروج (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) القائد الذي كان السبب في وقوع (والريانوس) في الأسر على القيصر (غاليانوس) وتنصيبه نفسه قيصراً على آسية الصغرى ومصر وفلسطين والشأم . فاضطر هذا الانقلاب (أذينة) الى الرجوع الى مدينته بسرعة ، لاتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الوضع السياسي الجديد[4] .

لم يكن (أذينة) مطمئناً الى (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) كان يكرهه ويخشى أن يستولي على ملكه ان تمكن واستأثر في الحكم ، فقرر منازلته قبل منازلة (مكريانوس) له . وبينما كان يهمّ بالزحف على (حمص) (Emisa) (Emissa) جاء نبأ مقتل (مكريانوس) ، فأعلن السوريون ولاءهم لأذينة وخروجهم على (كياثوس بن مكريانوس) وساروا مع التدمريين لمحاصرة (كياثوس) في مدينة (حمص) . ولما اشتد الحصار على المدينة وطال ، قتل

---

١ Berytus, VIII, Fascl., I, P. 56.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، سنة (١٨٩٨ م) (ص ٦٤١) ، Oberdick, S., 25. Berytus, Vol., VIII, Fasc., I, 1934, P. 34, Zosim, I, 39, Trebell, Poll. Valer, VII, Rostovtzeff : Res Gestae divi Saporis; Dura, by Michael, I.

٣ (طيسفون) ، بفتح أوله وسكون ثانية وسين مهملة وفاء وآخره نون ، هي مدينة كسرى التي فيها الايوان . البلدان (٦/٨٠) .

٤ Syria, XVIII, 1937, P. 2, « Note sur Hérodien, Prince de Palmyre », by Henri Seyric, Oberdick, S., 25.

(كاليستوس) سيده (كياثوس) ورمى برأسه من فوق السور تحت قدمي (أذينة) ثم فتح له أبواب المدينة والتمس منه الأمان ، فمنحه اياه ودخل المدينة في سنة (٢٦٢) للميلاد[١] .

ولم يكن استسلام أهل (حمص) للتدمريين أمراً سهلاً عليهم فقد كانت بين الفريقين شحناء وبغضاء . نظر أهل حمص الى أهل تدمر نظرة ازدراء وغضاضة، إذ كانوا يرونهم ناساً أجلافاً، ليس لهم حظ من حضارة وثقافة، أهل بادية حفاة جفاة . وقد يكون لاتصال حدود (تدمر) بحدود حكومة (حمص) وغارات أعراب تدمر على أرض حمص يد في خلق هـذا النزاع . وقد لاقت حمص من استيلاء أهل تدمر عليها عنتاً شديداً إذ حل بها دمار وخراب لرفضها الاستسلام لـ (برابرة تدمر)[٢].

لقد سقطت حمص في أيدي التدمريين، بالرغم من تضرع أهلها وتوسلهم بالإلهة (الشمس) لتنصرهم على أعدائهم وتنزل بهم خسائر فادحة . وقد كانوا من عُبّادها المخلصين . ولكن أهل تدمر كانوا يتعبدون للشمس كذلك ، وقد توسلوا وتضرعوا اليها لتنصرهم على أعدائهم أهل حمص . لقد كان موقف (الشمس) موقفاً حرجاً . فالطرفان المتخاصمان ، من عبادها . وقد أقام كل منهما معبداً ضخماً فخماً لعبادتها ، زوقت أبوابه وذهبت قبابه ، وكل منهما يتوسل اليها ، فأي طرف تؤيد إذن ؟ والظاهر ان اختيارها وقع على تدمر إذ انتصروا على أهل حمص ، ودخلوا المدينة ظافرين[٣] .

وسرّ (أذينة) ولا شك من هذه النتيجة ، فقرر بعد استراحة جنوده بضعة أيام أن يسير نحو الشمال للقضاء على المنشقين . وبينا هو في طريقه ، تلقى أنباء تمرد (كاليستوس) وخروجه عليه واعلان نفسه ملكاً ، فأمر نفراً من رجاله بالذهاب الى معسكر (كاليستوس) لاغتياله ، فذهبوا اليه ، وتمكن فارس من الدخول الى خيمته وقتله[٤] . عندئذ تحسن موقفه، فسار الى الجزيرة ، وتعقب الفرس فقبض على عدد من (المرازبة) (Satrapen) وأرسلهم الى (رومة) ، وأظهر

---

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، آب ١٨٩٨ م (ص ٦٨٧) .

٢ Petr. Patr. Fra., 167, Dio, Ed: Boiss, 3, 744, A. Alfoldi in : Berytus, 5, 84, Die Araber, III, S., 251.

٣ Die Araber II, S., 250.

٤ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٧) ، Trebellius, Trig. Tyr., 17,

اخلاصه وطاعته لقيصر ، فرضي عنه واطمأن اليه ، وأعطاه منزلة رفيعة هي : (Imperator Totius) (Dux Orientis) ودعاه انبراطوراً على جميع أنحاء المشرق، أي على الشأم والجزيرة وآسية الصغرى عدا (بتينية) وبضع نواح شمالية ، (٢٦٤ م)[١] . وضربت نقود باسمه صور عليها أذينة ووراءه بعض أسرى الفرس . وجعل تحت امرته جميع القوات الرومانية المعسكرة في المشرق . وكلفه القضاء على فلول جيش (مكريانوس) وتطهير المقاطعات الرومانية منهم[٢] .

واختار أذينة لنفسه لقباً آخر حبيباً الى نفوس الشرقيين هو لقب (ملك الملوك) (ملك ملكا)[٣] ، لعله فعل ذلك محاكاة لملوك الفرس . ومنح لقباً آخر هو (أغسطس) (Augustus) لقب قياصرة الرومان[٤] . والانسان متى أبطرته النعمة مال الى اتخاذ أمثال هذه الألقاب ! وفي رواية أن مجلس الشيوخ الروماني منحه لقب (أغسطس) ، فصار مساوياً للقيصر ، وأنه أمر بوضع صورته مع صورة الانبراطور على النقود التي أخذت غنيمة من الفرس[٥] .

وعرف (أذينة) بـ (متقنا دي مدنحا كله) ، (متقنا متقانوتا) ، وتقابل معنى (Reparator Totius Orientis) أو (Correctores Italiae) (Utriusque Italiae, Italiae Regionis Transpadanae)[٦] ، وتقابل درجة (Correctores) منزلة (رئيس) (Praesides)[٧] ، أي رئيس مقاطعة من المقاطعات .

وقام (أذينة) باصلاحات جمة أظهر فيها أنه لم يكن قائداً قديراً فقط ، بل كان الى ذلك رجل ادارة وسياسة وتسامح أيضاً . فمنع تعصب الوثنيين على النصارى واضطهادهم لهم ، ومنح كل طائفة حريتها في ممارسة شعائر دينها ، وخوّل

---

١ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31, Ency. Brita., 17 P. 162.

٢ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31.

٣ Die Araber, II, S., 253.

٤ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، السنة (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٨٨) ، Gibbon, I, P. 241.

٥ Wright, P. 121.

٦ Die Araber, II, S., 253, Cambridge Ancient History, 12, 175.

٧ Die Araber, II, S. 253.

النصارى حق بناء الكنائس حيثما شاؤوا[1] . وتعقب اللصوص وقطاع الطرق من الجنود الهاربين والمسرحين من الخدمة والصعاليك الذين وجدوا في الاعتداء على الآمنين ومهاجمة القوافل والقرى والمدن خير مصدر للحصول على الكسب والمغانم والمال ، وقتل (كاليستوس) زعيم الصعاليك الذي استمال من لا عمل له إلاّ الفتنة والاعتداء على الناس ، وبذلك أراح أذينة نفسه وأراح المقاطعات الرومانية من شر هؤلاء ، واطمأن الناس على أنفسهم ، وعادوا الى أماكنهم التي اضطروا الى تركهم لها بسبب تلك الاعتداءات التي قام بها من أطلق عليهم الكتاب اسم (الظالمون)[2] .

وصمم (انبراطور الشرق) و (ملك الملوك) بعد هذه الأعمال على انتزاع القيصر (والريانوس) من أيدي الفرس ، ومحاربة خصمه المتغطرس المتلقب بلقب (ملك الملوك) كذلك . قد يكون حباً في اذلال من استهان به فمزق رسالته أمام أعين رسله ، وقد يكون تقرباً للرومان وتوداً الى القيصر (غاليانوس). والشرقيون مبالغون ويا للأسف في اكرام الغرباء ، متزلفون الى القوي منهم ، ولو كان في ذلك هلاك الوطن والرعية . عيّن ابنه البكر (سبتيميوس هيرودس) (Septimius Herodes) من زوجته الأولى نائباً عنه في ادارة شؤون الملك ، وأخذ هو جيشه وسار به لمحاربة الفرس في أوائل عام (٢٦٥) بعد الميلاد . سار به الى(طيسفون) عاصمة (سابور) فحاصرها أمداً ، ويظهر ان (سابور) أظهر استعداده لعقد صلح لولا اشتراط (أذينة) فك أسر (والريانوس) ، وهو شرط كان في نظر الفرس جدّ عظيم[3] .

ووقع حادث مهم اضطر (أذينة) الى تبديل خططه العسكرية وترك حصار (طيسفون) . ذلك هو انتهاز (القوط) فرصة محاصرة (أذينة) للمدائن وابتعاده عن آسية الصغرى وبلاد الشأم ، فعبروا بحر (بنطس) (Pontus) أي البحر الأسود[4] ونزلوا بميناء (هرقلية) (Heraclea) ثم زحفوا على (بتينية)

---

١ المشرق ، العدد المذكور (ص ٦٨٩) .

٢ (الظالمون الثلاثون) ، المشرق (ص ٦٨٩) ، Tribellius : Trig. Tyr., 14.

٣ Oberdick, S., 35, Hieronym. Cliron. XII, Gallieni : « Odenatum Persas ita Cecidisse, ut Castra a Ctesiphontem Poneret », Zosim, I, 39, Trebellius, Poll., 2, Gall 10 « Ctesiphon ».

٤ (بنطس) ، البلدان (٢/٦٦ ، ٢٩٣) ، ويعرف أيضا ببحر (طرابزندة) ، البلدان (٢/٦٦) .

و (فريجية) و (غلاطية) و (قيادوقية) ، وكانوا يقصدون من وراء زحفهم هذا التوسع والاستيلاء على آسية الصغرى وبلاد الشأم وكل ما يمكن الاستيلاء عليه من بلاد الشرق . فلما علم (القوط) بمجيء (أذينة) هربوا الى ميناء (هرقلية) مسرعين ، ومنه ركبوا الى بلادهم التي جاءوا منها[1] . فقرر عندئذ الرجوع الى العراق لفتح (طيسفون) . وبينما كان (أذينة) في (حمص) لاراحة الجند ، أعد وليمة كبيرة تذكاراً ليوم ميلاده حضرها قواده وكبار القوم . فانتهز (معنى) (Maeonius) ابن اخيه (خيران) هذه الفرصة ، فقتل هو وعصابته عمه (أذينة) وابن عمه (هيرودس) (Herodus) ، لاغتصاب عمه منه ملكه الذي ورثه من أبيه . ونادى بنفسه ملكاً على المملكة التي أنشأها وكوّنها (أذينة) القتيل ، وبذلك استرجع حقه من المقتول . ولكن حياة القاتل كما يقول المثل الشرقي لا تطول ، وذلك قولهم : « بشّر القاتل بالقتل » ، فما كاد يتربع على العرش اياماً حتى انتقمت منه سيوف (حمص) ، وألحقته بالعالم الواسع الذي ذهب اليه القتيلان (٢٦٦ – ٢٦٧ م)[2] .

ما أعجب الحياة . في مدة قصيرة طفر فيها رجل (تدمر) من رئيس في مدينة صحراوية الى ملك على عرش مملكة ، فقائد كبير في أعظم انبراطورية في عالم ذلك الزمن ، ومنافس للقيصر وملك على الشرق ، وفي لحظة واحدة انتقل فيها هذا القائد الملك من هذا العالم الى عالم القبر . انها الحياة لا بد لها من نهاية مهما بلغ الانسان من منزلة ومكانة ، لا تعرف قوة وصولة ولا فقراً وضعفاً ، الجميع الى هذه النهاية منتهون ، وللفيلسوف أن يستخرج منها حكمة الحياة .

هل قتل (معنى) عمه لاغتصابه حقه الطبيعي في الملك ؟ أو قتله لأسباب أخرى ؟ وهل كان لأحد مثل الملكة (الزباء) ضلع في الحادث ؟ وهل كان للرومان يد في هذه الجريمة ؟ وهل كان للحزب الوطني التدمري الذي كان يكره اليونان والرومان وكل سيطرة غريبة يد في هذا الاغتيال ؟ لما عرف عن (أذينة)

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١) .

٢ راجع خبر مقتل (أذينة) والعداء الذي كان بينه وبين (معنى) والنزاع الذي حدث بينهما حين كانا في الصيد في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١ وما بعدها) ،
Oberdick, S., 38, Zosim, I, 39, Treb. Poll., 30, Tyr. 15, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 60.

من دفاعه عن الانبراطورية الرومانية وحماسته في الدفاع عنها ؟ هذه أسئلة سألهـا المتعمقون في تأريخ (تدمر) والباحثون فيه ، وأجابوا عنها أجوبـة مختلفة . فمنهم من رأى ان الجريمة هي انتقام شخصي بسبب اغتصاب (أذينة) حق القاتل الذي ورثه من أبيه ، ومنهم من رأى انها مسألة مدبرة مدروسة وان للزباء يداً فيها . ومنهم من رأى انها بتدبير الرومان وعلمهم ، فعلوها للتخلص من رجـل أخذوا يشكّون في اخلاصه ، ويرتابون منه . ومنهم من رأى عكس ذلك : رأى انها فاجعة للرومان وخسارة كبيرة لسياستهم في الشرق ، وانها من أعمال الوطنيين الذين رأوا في ملك تدمر أداة طيعة مسخرة في أيدي سادة(رومة)فقرروا لذلك الانتقام منه.

أما نحن فنرى أن من الصعب البت في سرّ قتل (أذينة) وابنـه ، فالأخبار الواردة في هذا الموضوع غامضة ، والأدلة غير متوفرة ، ومبايعة الجيش وقوّاده للقاتل في سرعة ومن غير كلام أو قتال ، ثم قيام أهل حمص بقتل القاتل بعـد أيام ، وتولى الملكة (الزباء) الحكم بعده وبسرعة هي قضايا فيها نظر . ولهـذا تعددت الآراء ، ولن تتفق مـا دامت الروايات المقدمة الينا على هذا النحو من التعقد والأمور[1] .

أظهر (أذينة) مقدرة فائقة جديرة بالاعجاب ، استطـاع أن يكوّن جيشاً قوياً يخيف الفرس ويلحق بهم الخسائر ويكتسب تقدير الرومان واحترامهم في مدة قصيرة ، واستطاع أن يكوّن من القلعة الصغيرة المبنية في البادية مملكة كان لهـا أثر خطير في النزاع السياسي العسكري بـين الرومان والفرس . لقـد قام بعمل عسكري عظيم في محاولاته الحربية لانقـاذ القيصر (والريانوس) محاولات لم يقم بها سيد (رومة) وابن القيصر الأسير ولا أتباعه الرومان . لقد (أرسلته الشمس أسداً مخيفاً مرعباً)[2] .

لقد وقعت في أيام (أذينة) أحداث خطيرة عظيمة في الشرق الأدنى بـين المعسكرين : المعسكر الشرقي وهو معسكر الفرس ، والمعسكر الغربي وهو معسكر الرومان يساعدهم التدمريون . كانت انتصارات الفرس في سنة (٢٦٠) بعد الميلاد،

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩٣) ،
Oberdick, S., 40, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P .60.

٢ Oracula : Sibyllinus, VV, 169, Berytua, Vol., VIII, Fasc., I, 1943.

ثم أسر القيصر (والريانوس) ، وغزو بلاد الشأم ، وقيام (أذينة) بالهجوم على الفرس ، وطردهم من الأرضين التي احتلوها من الأمور الخطيرة التي وقعت في ذلك العهد ، أفادت الرومان ولا شك كثيراً ، ولكنها لفتت أنظارهم في الوقت نفسه الى الخطر الجديد الذي أخذ يتهددهم من ظهور قوة (تدمر) ، وتسدمر في بلاد الشأم . وقد تتزعم الحركات الوطنية المعادية للرومان في الشرق ، فتكون كارثة على (رومة) . ونجد أخبار (أذينة) وأعماله خاصة بعد معركة (الرها) (Edessa) في تأريخ (سوزيموس) (Zosimus) [1] .

ولا بد لي في هذا الموضع ، وقد انتهيت من الحديث عن أذينة ، من الإشارة الى رجل كان له شأن وذكر في أيام (أذينة) ، وكان أقوى شخصية في تدمر الا وهو (ورود) (Worod) الذي ورد ذكره في عـدد من الكتابـات ، أقدمها الكتابة المدونـة بشهر نيسان من سنة (٢٦٢) للميلاد وقد لقب فيهـا بـ (Procurator Ducenarius) [2] . كما لقب بلقب (مرن) الـذي تلقب بـه (أذينـة) أيضاً ، أي (سيدنا) و (أميرنا) ، وبألقاب أخـرى مثـل (Cursus Honorum) و (قائد القافلة) و (شريف المستوطنة) وغير ذلك من نعوت حملها (أذينة) نفسه ، مما يحملنا على الاعتقاد بأنه كان الرجل الثاني في تدمر بعد (أذينة) ، ومن الغريب ان اسمه اختفى مع اسم أذينة في السنة التي قتل فيها الملك نفسيهما ، فلم نعد نقرأه في الكتابات[3] .

وكان (ورود) يقوم مقام (أذينة) بأعباء الحكم عند غياب (أذينة) عن عاصمته . ويرى بعض الباحثين ان اسمه الكامل هو (يوليوس أورليوس سبتيميوس وورود) (جوليوس أورليوس سبتيميوس ورود) (Julius Aurelius Septimius Worod) وانه كان من الطبقة (الأرستقراطية) ، وهو من أصل فارسي روماني. وقد نال أعلى الألقاب المعروفة في أيامه ، حتى ضاهت الألقـاب التي لقب بها (أذينة) . والظاهر انه كان شخصاً كفؤاً حازماً لذلك نال مركزاً لم يبلغه أحد غير (أذينة) ، اذ كان الرجل الثاني في تدمر بعد الملك[4] .

---

١ Oracula : Sibyllinus, XVIII, Zosimus, I, 27, I, 36, I, 39.

٢ J. Cantineau, 3n. II, Die Araber, II, S., 255.

٣ Die Araber, II, S., 255.

٤ Vaughan, P. 58.

ولا نعرف شيئاً كثيراً عن المكانة التي حصل عليها بعد مقتل (أذينة) وتولى (الزباء) أعباء الحكم نيابة عن ابنها (وهبلات) . والظاهر انه لم ينـــل عند الملكة المنزلة التي بلغها عند (أذينة) ، وان عيّنته الملكة نائبـــاً عنها في بعض الأوقات ، وكل ما وصل اليه عندها هو منصب (مستشار) ، فقد كانت تستدعيه عند الحاجة لاستشارته في بعض الأمور الخطيرة . وقد كان لها جماعـــة مستشارين تستعين بآرائهم في ادارة الحكم وفي تنظيم الأمور المالية،ولا سيما الجباية من التجارة والتجار .

ولم يشر (الطبري) ولا غيره من المؤرخين المسلمين الى حروب (أذينة) مع (سابور) على أهميتها وبلوغ ملك (تدمر) فيها العاصمة (طيسفون) . وهذا أمر يدعو الى العجب، حقاً اذ كيف يهمل المؤرخون والأخباريون هذا الحدث الخطير ؟ فلا بد أن يكون هنالك سبب . ورأيي ان سببه الموارد الأصلية التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمون والأخباريون واخذوا منها ، وهي موارد فارسية الأصل متعصبة للفرس، أو موارد عراقية ميّالة اليهم .

وقد أخـــذ المؤرخون المسلمون تأريخ الفرس من موارد فارسية ، أما تأريخ الرومان واليونان ، فقد أخذوه من موارد نصرانية سريانية في الغـالب ، ولكنهم أخذوه بقدر ، ولم يتوسعوا في الطلب ، لذلك كان تأريخ الرومان واليونان مختصراً جداً وضعيفاً بالقياس الى ما دوّن عن تأريخ الفرس . عبارة عن جريـــدة بأسماء القياصرة جافة في الغالب ، ونتف وقطع مبثوثة هنا وهناك في الفصول المدوّنة عن تأريخ الدول الفارسية ذكرت في المواضع التي تكون لها صلات بتأريخ الفرس ، ولذلك أيضاً أدمج أكثر مـــا دوّن عن تأريخ الغساسنة وعرب الشأم في الأوراق التي دوّنت عن تأريخ الحيرة وعرب العراق . وقد انتزعت من موارد فارسية ــ عراقية ، ففيها تعصب للفرس وللعراق على الروم والرومان وبلاد الشأم[1] .

واظن ان الموارد الأولى التي نقل منها الأخباريون والمؤرخون كلامهم عن تأريخ الفرس لم ترقها الاشارة الى انتصارات ملك كوّن مملكة في البادية بنفسه ، عـــلى (سابور) صاحب انبراطورية واسعة تتباهى بنفسها على الرومان ، فأهملت الكلام عنها بدافع العاطفة والنزعات القومية . فلما ترجمت تلك الموارد الى العربية أو نقل

---

١ مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول والجزء الثاني .

منها ، لم يجد الأخباريون والمؤرخون شيئاً يقولونه عن انتصارت (أذينة) على (سابور) ، وإلا ذكروه كما ذكروا حادث أسر (سابور) للقيصر (والريانوس) في أثناء كلامهم عن سابور . وقد ذكره الطبري فقال : (وانه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الريانوس بمدينة انطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه وأسكنهم جنديسابور)[1] .

الزباء :

انتقل الملك بعد مقتل (أذينة) و (معن) الى (وهبلت) و (هبلات) (وهب اللاث) ، وهو ابن (أذينة) من زوجه (الزّباء) ويعرف في اليونانية بـ (اتينودورس) (Athenodorus) . وكان لوهبلات اخوة هم : (حيران) (خيران) و (تيم الله) من أذينة (أذينة) وامه (الزباء) . وكان قاصراً، لذلك تولت الوصاية عليه وتأديبه بأدب الملوك حتى يبلغ سن الرشد ، فعلّمته (اللاتينة) والفروسية ، وهيأته ليكون ملكاً كبيراً كقياصرة الرومان أو أكاسرة الفرس وسعت هي لتهذيب الدولة وتوسيعها وبسط نفوذها على أماكن واسعة لم تكن خاضعة لتدمر ، لذلك كان لا بد من حدوث احتكاك وتصادم بينها وبين الرومان .

وللأخباريين احاديث واقاصيص عن الزباء ، واسمها عندهم (نائلة بنت عمرو ابن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العميلقي (العملقي) من العمالق[2] . و (الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر) على زعم[3] ، و (ليلى) في زعم آخر . وزعموا ان لها اختاً اسمها (زبيبة) بنت (الزباء) لها قصر حصين على شاطىء الفرات الغربي ، فكانت تشتو عند اختها وتربع ببطن النجار ، وتصير الى تدمر . كما كان لها جنود هم في نظرهم بقايا من العمالق والعاربة الأولى ، وتزيد وسليح ابن (حلوان بن عمران

---

١ الطبري (٢/٦١) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٢ الطبري (٢/٣١) ، ابن خلدون (٢/٢٦١) ، حمزة (٦٥) .

٣ مروج (٢/١٦) .

ابن الحاف بن قضاعة) ومن كان معهم من قبائل قضاعة[1] . وذكر (ابن خلدون) ان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشأم كان لعمرو بن الظرب، وكان جنود الزباء من بقايا العمالقة من عاد الأولى ومن نهد وسليح ابني حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاعة ، وكانت تسكن على شاطىء الفرات وقد بنت هنالك قصراً ، وتربع عند بطن المجاز ، وتصيف بتدمر ، أخذ قوله هذا من تأريخ الطبري وتصرّف فيه بعض التصرف[2] . أما الأصل ، فخبر من اخبار الأخباريين ، واما النقل فحكمه حكم الأصل بالطبع . وأما ان جنود (الزباء) من بقايا (العمالقة) ، فهو أمر مقبول في نظر اصحابنا الأخباريين ، ولِمَ لا ؟ إن (الزباء) في رأيهم من بقايا العمالقة ، اي من العرب الأولى فلِمَ لا يكون جنودها اذن من اولئك القوم ؟

وزعم بعض الأخباريين ان (الزباء) من ذرية (السميدع بن هوثر) من (بني قطورا) اهل مكة ، وهي بنت (عمرو بن أذينة بن الظرب بن حسان). وبين (حسان) و (السميدع) آباء . وزعم آخرون ان (عمرو بن الظرب) كان على مشارف الشأم والجزيرة ، وكان منزله بين (الخابور) و (قرقيساء) ، فوقعت بينه وبين (مالك بن فهم) حروب هلك (عمرو) في بعضها ، فقامت بملكه من بعده ابنته (الزباء) . وقد استمرت الحرب بين (مالك) و (الزباء) الى ان الجأها الى اطراف مملكتها . وكان (مالك) على ما يصفه الأخباريون رجلاً قديراً يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في ايديهم[3] . وهو في نظرهم اول من ملك من (عرب الضاحية) . وكان منزله مما يلي (الأنبار) ، ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) . فلما هلك تولى من بعده (جذيمة الأبرش) الشهير في تأريخ الحيرة[4] .

والذي حارب (عمرو بن الظرب) على رواية منسوبة الى (ابن الكلبي) ذكرها (الطبري) هو (جذيمة الأبرش) . وكان جذيمة على هذه الرواية قد جمع جموعاً من العرب سار بها يريد غزاة (عمرو) ، وأقبل (عمرو) بمجموعة

---

١ الطبري (٢/٣٢) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٦١) .
٣ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .
٤ الطبري (٢/٢٨) .

من الشأم فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل (عمرو بن الظرب) وانفضت جموعه. فأجمعت الزباء رأيها لغزو (جذيمة) للأخذ بثأر أبيها، واستعدت لذلك. غير ان اختاً لها هي (زبيبة)، وكانت ذات رأي ودهاء وأدب، نصحتها بترك الحرب، فإن عواقبها غير مضمونة، فاستجابت لنصيحتها، وعمدت الى طرق المكر والحيل فراسلته واستدرجته الى عاصمتها في قصة معروفة مشهورة لا حاجة بي الى اعادتها، فغدرت به وقتلته[1]. وطلب (قصير بن سعد بن عمرو ابن جذيمة بن قيس بن ربي بن نمارة بن لخم)، وكان اريباً حازماً أثيراً عند (جذيمة بن الأبرش) من (عمرو بن عدي) خليفة (جذيمة) على الحيرة الخروج لقتال (الزباء)، فأحجم فلما رأى ذلك منه، صمم على أن يأخذ هو بالثأر، فذهب اليها مدعياً انه مضطهد ممقوت لتهمة نسبت اليه هي انه ساهم في قتل (جذيمة) فوثقت به واطمأنت اليه وهي لا تعلم ما يخفي لها، ثم طلب منها أن يعود الى بلده ليعود بأمواله ونفائس ما لديه فسمحت له وأعطته تجارةً لتصريفها هناك، فباعها وعاد بأرباح طائلة وبأموال كثيرة، فزادت ثقتها به وتكرر الحال، حتى اذا ما وثق من اطمئنانها اليه عاد في المرة الأخيرة برجال أشداء من بني قومه ومعهم (عمرو بن عدي)، وضعهم في جوالق كبيرة فلما توسطوا في المدينة، أنزلت الجوالق وخرج الرجال منها، فوضعوا سيوفهم في رقاب أهلها، فلما رأت الزبّاء ذلك، أرادت الهرب من نفق حفرته لمثل هذه الأيام، اطلع قصير عليه، فوضع (عمرو بن عدي) على بابه. فلما رأته الزباء مصت خاتمها، وكان فيه سم، قائلة: (بيدي لا بيدك يا عمرو)، وتلقاها عمرو بن عدي بالسيف فجللها به وقتلها، وغنم كثيراً، وانكفأ راجعاً الى العراق[2].

وهي قصة محشوة بالأمثال المنسوبة الى أبطالها: جذيمة وقصير والزباء وعمرو

---

١ حمزة (٦٥).

٢ الطبري (٢/٣٤ وما بعدها)، مروج (٢/١٩ وما بعدها)، ابن خلدون (٢/٢٦١ وما بعدها)، البلدان (٣/٣٧٩)، مروج الذهب (٢/٦٩ وما بعدها)، (قصة جذيمة). فلما نظرت الزباء الى مشي الجمال، قالت:

ما للجمال مشيها وئيدا — أجندلا يحملن أم حديدا؟
أم صرفانا باردا شديدا — أم الرجال جثما قعودا؟

مروج (٢/٧٢)، (دار الاندلس).

ابن عدي ، وفيها على عادة الأخباريين في رواية أمثال هـذا القصص شعر نسب بعضه الى هؤلاء الأبطال ، ونسب بعضه الآخر الى شعراء أقحمت أسماؤهم في القصة ليؤكد واضعوها ولا شك صدق حديثهم، وليلوّنوا كلامهم بعض التلوين .

ونجد قصة الزبّاء وجذيمة وقصير المطالب بالثأر في شعر ينسب الى (عديّ بن زيد العبادي) ، جاء فيه :

ألا أيهـا الملك المـرجّى ... ألم تسمع بخطب الأولينـا
دعا بالبقّة الأمراء يومـاً ... جذيمة عصر ينجوهم ثبينـا
فطاوع أمرهم وعصى قصيراً ... وكان يقول لو تبع اليقينـا

ثم يستمر في نظم القصة شعراً حتى تنتهي . وقد ختمت بنصح للإنسان ليتعظ بالحوادث والمنايا ، التي لا تعرف أحداً مهما كانت درجته ومنزلته ، إلا أخذته، ثم صيرته أثراً بعد عين[1] .

وذكر أهل الأخبار ان (الزبّاء) كانت تأتي الحصون ، فتنزل بهـا ، فلما نزلت بـ (مارد) ، حصن دومة الجنـدل ، وبالأبلق ، حصن تيماء ، قالت تمرد مارد وعز الأبلق ، فذهبت مثلاً[2] .

ولم يبخل الأخباريون على الزباء ، فنحوها ابياتاً زعموا انها قالتها ، وجعلوها أديبة في العربية بليغة الى اعلى درجات البلاغة . لها حكم وامثال بهذه العربيـة ، عربية القرآن الكريم . ولا غرابة في ذلك ، فالذي ينسب شعراً عربيـاً الى آدم وابليس ويرويه مشكّلاً مضبوطاً على وفق قواعد النحو والصرف ، لا يعجز عن رواية شعر ينسب الى (عمرو بن الظرب) والى ابنته الزباء .

وذكر ان معاوية ذكر في أحد مجالسه (الزباء) وابنة (عفزر) ، فقال : « اني لأحب ان أسمع حديث ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا امير المؤمنين ؟ فقال : بلى ، فقال : إن ماوية بنت عفزر ، كانت ملكـة وكانت تتزوج من أرادت »[3] .

---

١ الشعر والشعراء (١١٢ وما بعدها) ، (عدي بن زيد العبادي) ، وفي الكتب الاخرى اختلاف في الالفاظ والعبارات ، مروج (٢/٧٣) ، (دار الاندلس) .
٢ مروج (٢/٧٣) ، (دار الاندلس) .
٣ البيان والتبيين (٣/٩) ،

ويذكر اهل الأخبار ان (ابنة عفزر) قينة كانت في الدهر الأول، لا تدوم على عهد ، فصارت مثلاً . وقيل : قينة كانت في الحيرة ، وكان وفْدُ النعمان اذا اتوه لهوا بها . وذكر ان (عفزر) اسم اعجمي ، ولذلك لم يصرفه (امرؤ القيس) في قوله :

أشيمُ بروق المُزنِ أين مَصابُهُ ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا[1]

ولم تشأ الكتابات التدمرية الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها على هذه الصورة : (بت زباي) اي (بنت زباي)[2] . و (زباي) هو اسم والـد الملكة ، حذفت كلمة (بت) وهي (بنت) في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الباء من كلمة (زباي) وصُيِّر همزة ، فصار (زباء) ، وعرفت ملكة تدمر عند العرب باسم (الزباء) .

وقد ذكر المؤرخ (فلافيوس فوبسكوس) (Flavius Vopiscus) ان والـد (الزباء) رجل من تدمر اسمه (اخليو) (Achilleo)[3] ، و (Achilleo) هو (انطيوخس) (Antiochus) في رواية اخرى[4] .

وقد أثنى عليها المؤرخ (تريبليوس بوليو) (Trebellius Pollio) ووصفها وصفاً جميلاً ، واشار الى مقدرتها وقابليتها ، وذكر انها كانت تتكلم اليونانيـة وتحسن (اللاتينية) ، وتتقن اللغة المصرية وتتحدث بها بكل طلاقة ، وتهتم بشؤون المملكة ، وتقطع المسافات الطويلة سيراً على الأقدام في طليعة رجال جيشها ، الى غير ذلك من كلام فيه ثناء واطراء على هذه الملكة[5] .

وقد بلغتنا روايات تفيد ان الملكة ادعت انها من مصر ، من سلالات الملوك وانها من صلب الملكة الشهيرة (قلبطرة)[6] (كليوبطرة) (Cleopatra) ، وانها كانت نفسها تتكلم المصرية بطلاقة ، وانها ألفت كتاباً كتبته بخط يدها اختصرت

---

١ اللسان (٤/٥٩١) .
٢ المشرق ، السنة الأولى ، (١٨٩٨ م) ، آب ، الجزء ١٥ ، (ص ٦٩٣) .
٣ Flavius Vopiscus Aur., 31, Oberdick, S., 143.
٤ Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 143.
٥ Trebellius Pollio : Hist. August., P. 192, 199, XXX, Tyranni., C., 14.
٦ مروج (١/٢٥٩) (طبعة دار الرجاء) ، Oberdick, S., 47, Gibbon, I, P. 202.

فيه ما قرأته من تواريخ الأمم الشرقية ولا سيما تأريخ مصر[1] ، وانهـا استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها ، مثل الفيلسوف الشهير (كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس) (Cassius Longinus) (٢٢٠ — ٢٧٣ م) بعـد الميلاد . وكان فيلسوفاً عـلى مذهب الأفلاطونية الحديثة ومن أصدقاء الفيلسوف (فرفوريس) (Phorphyrios) ، استقدمته الملكة الى عاصمتها واستضافته عندها وجعلته مستشاراً لها ، فأخلص لها في مشورته،فكان ذلك سبباً في قتله . فقتله القيصر (أوريليانوس) (Aurelianus) ، لاتهامه انه كان يحرض الملكة على الرومان[2] .

ومثل الكاتب المؤرخ (كليكراتس الصوري) ، و (لوبوكوس) البيروتي اللغوي الفيلسوف ، و (بوسانياس) الدمشقـي المؤرخ ، و (نيوكوماخس) (Nicomachus) من زمرة الكتّاب المؤرخين،المتضلعين بالإغريقية،ومن الفلاسفة ، وقد تولى الكتابة باللغة الإغريقية ، وصار من مستشاريها كذلك[3] . ولذلك أمر به القيصر (أورليانوس) فقتل بعد محاكمته بمدينة حمص، في الوقت الذي حوكمت فيه الملكة والفيلسوف (لونجينوس) ، الذي قطع رأسه بعد ان مثّل به[4] . وفي حشد هذا النوع من الرجال دلالة على ميول الملكة الفلسفية الأدبية وثقافتها العالية ولا شك .

وملكة شأنها هذا ، لا بد ان تكون حرة الفكر، متساهلة مع اصحاب العقائد والآراء . وهذا ما كان . ففي مدينة (تدمر) الوثنية عاشت جاليـة كبيرة من اليهود تمتعت بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، ونالت حقوق المواطنة التي كان يتمتع بها التدمريون ، جاءت الى المدينة مهاجرة من فلسطـين خاصة بعد خراب القدس على ايدي القيصر (طيطوس) (تيتوس) (Titus) في سنة (٧٠) بعد الميلاد[5] . فاشتغلت فيها بالتجارة ، فحصلت على ارباح طائلة جداً ، وصار لها في المدينة اسم وشأن حتى ان مجلس المدينة والشعب اقام تمثالاً في سنة (٥٦٩)

---

١ Oberdick, S., 47, Vaughan, P. 79.

٢ فقدت مؤلفات هذا الفيلسوف ولم يبق منها غير : (Le Sublime)
أي كتاب الايغال ، المشرق، السنة الاولى الجزء ٢٠ ، السنة ١٨٩٨م ، (ص٩٢١)، Hervey, P. 245.

٣ المشرق ،الجزء نفسه (٩٢١) ، Vaughan, P. 192.

٤ Vaughan, P. 192.

٥ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٢٤) .

السلوقية المقابلة لسنة (٢٥٧) الميلادية ليهودي يدعى (يوليوس أورليوس شلميط) (Julius Aurelius Schalmath) قائد القافلة ، لأنه ترأس القافلة ، وأنفق عليها من ماله[١] .

وقد بالغ بعض المؤرخين في عدد اليهود الذين كانوا في (تدمر) ايام حكم الزباء فزعم انه بلغ نصف عدد سكان المدينة ، وهو زعم يحتاج الى اثبات . وزعم القديس (أثناسيوس) (St. Athanasius) ان ملكة تدمر كانت تدين باليهودية[٢] ولكنها مع تهودها لم تهب أبناء دينها الكنائس لتكون لهم مجامع ومحافل[٣] . وذهب الى هذا الرأي المؤرخ (فوتيوس) (Photius)[٤] . وذكر (فيلاستريوس) (Philastrius) ان الذي هوّد الملكةهو(بولس السميساطي) (Paulus Samosatius)[٥] وهو أسقف كان مقرباً الى الزباء ، وله منزلة عالية لديها . ونسبت اليه آراء في المسيح وفي بعض الأمور الدينية الأخرى دعت الى محاكمته في مجمع (انطاكية) الذي انعقد في سنة (٢٦٤) للميلاد ، فوجد المجمع ان تعاليمه تشبه تعاليم (أرتاماس) (أرتامون) الذي حكم عليه قبلاً ، فحرّموا آراءه كذلك ، ثم حكم عليه في (انطاكية) سنة (٢٦٩) بعزله عن الأسقفية ، ولم تتدخل (الزباء) في القرارات التي اتخذها رجال الكنيسة تجاه بولس ، كما انها لم تنفذ قراراتهم بحقه ، بل أبقته في مركزه وتركته على ما كان عليه[٦] .

ويرى بعض المؤرخين أن خبر تهود الملكة خبر مختلق ، وضعه آباء الكنيسة للإساءة الى سمعة (بولس السميساطي) والطعن فيه والحط من تعاليمه وللتأثير في نفوس أتباعه[٧] . وقد لاقى (بولس) من خصومه عنتاً شديداً . ولا يعقل بالطبع أن يعمد رجل كنيسة الى تهويد شخص مهما كان مذهبه ورأيه في طبيعة المسيح

---

١ Oberdick, S., 65, Corpus, Insc. Grea., III, NR. 4486, Levy: Palmyr. Inschr. in ZDMG., VII, 1864, S. 88.

٢ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ ، (١٨٩٨ م) (ص ٩٢٤) ، Oberdick, S., 71, Milman: History of the Jews, III, P. 175.

٣ المشرق ، الجزء ٢١ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٩٥) .

٤ Oberdick, S., 71, G. Moss: Jews and Judaism in Palmyra, in : Palestine Exploration Fund QJuarterly, Vol., 60, 1928, 100-107.

٥ المصدر نفسه .

٦ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢١ ، ١٨٩٨ م (ص ٩٩١ وما بعدها) .

٧ Oberdick, S., 72.

واللاهوت ، بل المعقول أن يعمد للتأثير فيه وادخاله الى مذهبه . ولدينا خبر آخر أراه من جنس خبر (فيلاستريوس) ذكره (تيودوريت) (Theodoret) ، خلاصته : أن الأسقف (بولس) أخذ رأيه في (الثالوث) من آراء الملكة المتأثرة باليهودية ، وأنه كان قد تأثر بالمرأة حتى سقط الى الحضيض[1] . ولا يخفى ما في هذا الخبر من طعن في عقيدة الرجل الذي أبدى رأياً في (الثالوث) سبب غضب الآباء عليه .

ولم نجد في الآثار اليهودية التي بين أيدينا ما يفيد تهود (الزباء) ، نعم ورد في التلمود خبر يفيد حماية (الزباء) للأحبار[2] ، غير أنه وردت أخبار أخرى تفيد أن اليهود كانوا ناقمين على (تدمر) حاقدين عليها يرجون من الله أن يطيل في عمرهم ليروا نهايتها . هذا الحبر الكبير (يوحانان) (يوخانان) (Johanan) (Jochanan) رئيس (أكاديمية) (طبرية) والمعاصر لأذينة والزباء ، يقول : (مخلد وسعيد من يدرك نهاية أيام تدمر) . ولو كانت الملكة على دين يهود ، لما صدرت هذه الجملة من فم ذلك الحبر ولا شك . ونفهم من بعض الروايات المروية عن فقهاء اليهود وأحبارهم في فلسطين في ذلك العهد ، أن الملكة اضطهدت اليهود وعذبتهم . وهي روايات لا يمكن التسليم بصحتها أيضاً ، ويجوز انها ظهرت على أثر توسع الملكة في الأرضين التي كانت تحت سيطرة الرومان ومنها (اليهودية) غير أن هذا الاستيلاء لم يكن أمده طويلا[3] .

ووردت روايات أخرى تشير الى كراهية يهود منطقة الفرات لتدمر ، ورد ان الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تحدث عن تدمر ، فقال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، انه عيد هلاك ترمود (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت تمود (Tamud) . وقد هلكت ». وورد ان الحبر (آشة) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود، انهما شيئان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الثاني مقامه »

---

١ Oberdick, S., 73.

٢ Talmud Jeru. Ter., VIII, 46b, Ency. Brita., 23, P. 945.

٣ Simon Dubnow: Weltgeschichte des jüdischen Volkes, III, S., 179, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 10, P. 639, Graetz: History of the Jews, Vol., 2, PP. 528, 1927, Yer. Taan., VIII, 465.

ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)[1] . وقد اشترك عدد كبير من اليهود في صفوف أعداء الزباء ، واشتركوا مع الفرس في حروبهم مع تدمر كما اشتركوا مع الرومان . وقبض على عدد من الأحبار أحضروا الى الملكة كانوا يحرضون الناس على التدمريين[2] .

أما (ثمود) ، الذين هلكوا قبل هلاك (ترمود) ، فهم قوم ثمود. ويظهر انهم حلت بهم نكبة أدت الى هلاكهم حتى صار هلاكهم مضرب الأمثال . ولم يشر الى زمن حلول تلك النكبة . ولكن ذلك كان قبل سقوط (تدمر) في أيدي الرومان على كل حال ، كما يفهم من كلام الحبر (يهودا) المتوفى سنة (٢٥٧) للميلاد[3] .

أما أسباب هذا البغض ، فلم تذكر . ويظهر ان هنالك جملة عوامل دعت الى ظهوره ، منها آراء الملكة الفلسفية وآراء الفلاسفة والكتّاب الذين كانوا يحيطون بها ، وكانوا يبثونها في تدمر وفي البقاع التي استولى عليها التدمريون ، فنفقت نفاقاً كبيراً بين يهود (تدمر) ويهود (الكالوتات) على نهر الفرات ، فأثارت هذه الآراء (الالحادية) عند اليهود حقد الأحبار والمتدينين . ومنها الزواج المختلط الذي انتشر في تدمر بين اليهود وغير اليهود ، ونشوء جيل جديد من هذا الزواج أضاع الدين وتقاليد الإسرائيليين . وهو أمر نهى عنه اليهود . ومنها الحالة السياسية التي نشأت من أسر الفرس للقيصر (والريانوس) ، وهجوم أذينة على الفرس وما أعقب ذلك من حروب ألحقت ضرراً كبيراً بالجاليات اليهودية الكبيرة التي كانت تسكن شواطىء الفرات ، ومعظمها من التجار الذين كانوا يتاجرون مع الفرس والروم ، وبين العراق وديار الشأم ، فأصيبت هذه (الكالوتات) اليهودية التي كانت تتمتع بشبه استقلال بأضرار كبيرة ، وفقدت استقلالها خلال مدة استيلاء التدمريين على شواطى الفرات . فلهذه الأسباب كانت نقمة اليهود على التدمريين[4] .

---

١ Oberdick, S., 80, Jebam 17b.

٢ ذكر (Oberdick) أمثلة عديدة على ذلك في (ص ٨٠) وما بعدها من كتابه . راجع أيضا :
Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336, Levy, in ZDMG., XVIII, S., 97.
Jost: Geschichte des Judenthums und seiner Sekten, II, S., 156.

٣ Oberdick, S., 79.

٤ Jost: Geschichte der Juden, 4, 14, 7, Oberdick, S., 78.

وحرص بعض المؤرخين على ادخال الملكة في زمرة النصارى فزعموا انها كانت على دين المسيح . وتساهل آخرون بعض التساهل فقالوا انها لم تكن نصرانية أصيلة ولكنها كانت قريبة منها ميالة اليها ، وجحد حجج من قال بتهود الملكة وسخفها. وتوسّط آخرون فقالوا انها لم تكن يهودية محضة ، ولا نصرانية خالصة ، إنما كان دينها وسطاً بين الدينين : كانت تعتقد بوجود الله ، وترى التوحيد، ولكنها لم تكن على اليهودية وعلى النصرانية ، بل رأت الخالق كما يراه الفيلسوف[1] .

وللمؤرخين آراء في أصل (الزباء) ونسبها وأسرتها ، فمنهم من ذهب الى أنها مصرية ، ومنهم من ذهب الى أنها من العماليق ومن هؤلاء المؤرخ (آيشهورن) (Eichhorn)[2] . وقد أخذ هؤلاء آراءهم من الكتب العربية على ما يظهر . وذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz) (Grätz) الى أنها (ادومية) من نسل (هيرودس) وانها يهودية الدين[3] . ورأى (رايت) (Wright) و(أوبردك) (Oberdick) وآخرون انها من أب عربي ولكنها من دم مصري من ناحية الأم . والذي عليه أكثرهم أنها عربية الأصل[4] .

وقد ذكر (المسعودي) ان بعض المؤرخين كانوا يزعمون انها (رومية) تتكلم العربية[5] .

أظهرت (الزباء) مقدرة فائقة في ادارة شؤون الملك ، فخاف منها الرومان، وعزم (غاليانوس) بتحريض من شيوخ (رومة) على القضاء عليها قبل استفحال أمرها ، فأرسل جيشاً الى الشرق تظاهر انه يريد من ارساله محاربة (سابور) غير انه كان يريد في الواقع مهاجمة تدمر واخضاع الملكة . فبلغ خبره مسامع (الزباء) فاستعدت لمقابلته وخرجت له ، والتحمت فعلاً بكتائب الرومان، وانتصرت عليها انتصاراً باهراً ، وولت هاربة تاركة قائدها (هرقليانوس) (Heraclianus) قتيلاً في ساحة الحرب[6] .

---

١ Oberdick, S., 72, 73.

٢ Eichhorn, Fundgr. des Orients, II, S., 365, Oberdick, S., 47.

٣ Graetz, Geschichte der Juden, IV, S., 335.

٤ Wright, P. 131, Oberdick, S., 47.

٥ مروج (١ : ٢٥٩) .

٦ المشرق ، السنة الاولى ، ايلول١٨٩٨ م ، ١٨ (ص ٨٢٤ وما بعدها) ، Zosimus, I, 40, Oberdick, S., 43, Trebellius Pollio, Gall. 31, Trig. Tyr., 29, Hist. August., P. 180, 181, Gibbon, I, P. 263.

ورأت الملكة الحذر من الفرس ، وذلك بتقوية حدود مملكتها ، فأمرت بانشاء حصن (زنوبيا) (Zenobia) على نهر الفرات ، ليقف أمام الهجمات التي قد يوجهها الساسانيون عليها من الشرق[1] . ويقول (بروكوبيوس) انه سمي بهذا الاسم نسبة الى الملكة مؤسسته[2] .

وقد اتبعت (الزباء) بعد مقتل زوجها سياسة عربية ، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد اليهم والاعتماد عليهم في القتال والحروب . وذلك بعد أن رأت ان الرومان هم أعداء تدمر ، وانهم لا يفكرون الا في مصالح الرومان الخاصة . وبهذه السياسة تقربت أيضاً الى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها ، وخاصة بعد أن أدركت ان الأعراب قوة لا يستهان بها ، وانهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً ، صاروا قوة يحسب لها كل حساب ، فأخذت تعمل لتكوين هذه القوة ، ولكن الرومان كانوا أسرع منها ، فقضوا على مآربها قبل أن تتحقق ، فاستولوا على تدمر وأزالوا مملكة ملكة الشرق[3] .

وجهت (الزباء) أنظارها الى مصر ، ووضعت الخطط للاستيلاء على هذا القطر ، بعد أن مهدت لنفسها الدعوة فيه باعلانها انها مصرية وانها من نسل الملكة (كليوبطرة) (قلبطرة) فلها إذن فيه ما يسمح لها بالتدخل في شؤونه ، وأخذت تترقب الفرص وتتحين الأسباب ، فلما قتل القيصر (غاليانس) سنة (٢٦٨) للميلاد، وانتقل الحكم الى (أوريليوس فلوديوس) (Marcus Aurelius Claudius) (٢٦٨ — ٢٧٠ م) ، وجدت الجو صالحاً للتدخل، كان الألمان (Alemannen) قد هاجموا حدود الإنبراطورية في مطلع هذا العام ، وكان (الغوط) (القوط) (Goths) (Gothen) قد أربكوا الدولة . وكان أثر الخسارة التي ألحقتها الملكة في الجيش الروماني ، ومقتل (هرقليانوس) بالغاً في نفوس الرومان ، يتجلى في صياح أعضاء مجلس الشيوخ بصوت واحد سبع مرات في أثناء مبايعة القيصر الجديد : (ياقلوديوس أغسطس نجّنا من فكتوريا ومن زنوبيا ، ياقلوديوس

---

١ Oberdick, S., 43.

٢ Procopius, History of the Wars, II, V, IV-VI, P. 295.

٣ Die Araber, II, S., 270, VI, S., 270.

أغسطس أغثنا من التدمريين)[1] . وفي الرسالة المؤثرة التي وجهها القيصر الى مجلس الشيوخ ومدينة (رومة) وهو في طريقه لتأديب المهاجمين ، وفيها (ان جبيني ليندى خجلاً كلما تذكرت أن جميع الرمـــاة بالقسي هم في خدمة زنوبية)[2] . فانتهزت الملكة هذه الفرصة المؤاتية وأرسلت جيشها لاحتلال مصر .

كان القيصر قد أمر عامله على مصر المدعو (بروبوس) (Probus) بالخروج على رأس اسطول الاسكندرية الى عرض البحر : لمطاردة (الغوط) (القوط) (Goths) ولمنعهم من الهرب عبر المضايق ، فخرج على رأس قـــوة كبيرة من الرومان لمطاردتهم ، فانتهز الوطنيون والمعارضون لحكم الرومان — وعـــلى رأسهم (تيماجينيس) (Timagenes) ، وهو رجل يوناني الأصل مبغض للرومـــان — هذه الفرصة ، فكتبوا الى الملكـــة يحضونها على تحرير مصر من حكم (رومة) وتولى الحكم فيها . وأظهر (فيرموس) (Firmus) ، وهو رجل ثري جداً ، استعداده لمساعدة الملكة بالمال وبكل ما ينبغي اذا أرادت الاستيلاء عـــلى مصر . فأمرت (الزباء) قائدها (زبدا) بقصد مصر عـــلى رأس جيش قوامه سبعون الف رجل . وقد قاتل الجيش الروماني الذي كان مؤلفاً من خمسين الف مقاتـــل وتغلب عليه ، ثم قرر العودة الى تدمر تاركاً في مصر حاميـــة صغيرة من خمسة آلاف رجل ، ويظهر انه تركها تحت إمرة (تيماجينيس) الذي عيّن نائباً عن الملكة على مصر . فلما سمع (بروبوس) بهجوم التدمريين وتغلبهم على الرومان ، أسرع عائداً الى مصر ، فألف جيشاً من المصريين الموالين للرومان ، وزحف على الاسكندرية ، وأخذ يتعقب التدمريين ، وأعمل فيهم السيف . فلما سمعت (الزباء) بذلك ، أمرت قائدها بالعودة ثانية الى مصر ، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار التدمريين على (بروبوس) عند (بابلون) أي (الفسطاط) ، وكتب النصر لجيش الملكة في مصر[3] .

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٥) ،
Oberdick, 53, Trebellius Pollius, Claud., 4, Triq. Tyr., Vaughan, P. 83.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٦) ،
Oberdick, S., 54, Trebellius Pollius, Claud., 7.

٣ (بروباتوس) ، المشرق ، السنة الاولى ، أيلول ١٨٩٨ م ، الجزء ١٨ (ص٨٢٦)،
Zosimus, I, 39, 44, Hist. August., P. 198, (Pollius, XXX, Tyrani, G. 29), Oberdick, S., 54, Vaughan, P. 84, 122, 130.

وقد ساعد عرب مصر من سكان الأقسام الشرقيـــة من مصر ، جيش تدمر مساعدة كبيرة ، ولا سيا فيما جرى من قتال حول حصن (بابلون) (Babylon) الذي عرف بـ (الفسطاط) فيما بعد . ويظن بعض الباحثين ان (تيماجينس) (Timagenes) الذي وصفه المؤرخ (زوسيموس) (Zosimos) (Zosimus) بأنه مصري ، كان في الحقيقة عربياً ، واسمه عربي أخذ من (تيم اللات) ، أو من (تيم جن)[1] . وكان من المبغضين للرومان .

ولم تتحدث الموارد التأريخية عن الحوادث التي جرت في مصر بعد هذا النصر ولا عن موقف الرومان من هذا التطور الذي وقع في منطقة خطـيرة من مناطق الانبراطورية . ويظهر ان الملكة تراضت مع (رومة) وعقدت اتفاقية معها، وافقت (رومة) فيها على بقاء جيوش تدمر في مصر،مع اعتراف (تدمر) بسيادة الرومان على وادي النيل . وقد عقدت هذه الاتفاقية في أواخر ايام حكم (قلوديوس) . كما يتبين ذلك من خبر ذكره (تربيليوس بوليو) (Trebellius Pollio) مآله حلف المصريين يمين الولاء والاخلاص للقيصر . وقد دام هذا الاتفاق في أوائل سني حكم القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) (٢٧٠ – ٢٧٥ م) أيضـاً كالذي يتبين من نقد ضرب في الإسكندرية في سنتي (٢٧٠) و (٢٧١) للميلاد، وقد ضربت على أحد وجهي النقد صورة مزدوجة لوجه القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) حاملاً لقب (أغسطس) (Augustus) مع وجه (وهبلات)، وقد نعت بـ:(Vir Consularis Romanorum Imperator Dux Romanorum) (Vir Clarissimus Rex Imperator Dux Romanorum) ، ويشير الى اللقب الذي تلقب به أيام حكمه . وأما ازدواج صورة القيصر مع صورة (وهبلات) ، فيشير الى الحكم المزدوج على مصر[2] .

ولم يدم هـــذا الاتفاق بين الرومان وبين الملكة طويلاً ، فقد ضغط سادات

---

١ Die Araber, II, S., 272, G. Ryckmans: Les Noms Propres sud-sémitiques, 62, H. Wuthnow: Die Semitischen Menschennamen in griech. Inschriften und Papyri, 1930, 39.

٢ Mattingly-Sydenham, V, I, 308, No : 381, H. Mattingly, in CAH, 12, 301, Ency. Brita., 17, P. 163, Oberdick, S., 61, Wright, P. 137, Die Araber, II, S., 254.

(رومة) على الإنبراطور بأن ينقذ الامبراطورية مما حاق بها من تصدع في أوروبة وفي الشرق . وفي جملة هذا التصدع ظهور ملكة (تدمر) وأطماعهـا في مصر وفي الأرضين الأخرى من بلاد الشأم وآسية الصغرى . واضطر القيصر (أوريليانوس) بعد الانتهاء من فتنة (رومة) ومن تأديب الجرمان الى التدخل والعمـل للقضاء على عصيان العصاة وطمع الطامعين . وبلغ سمع الملكة من أصدقائها ومخبريهـا في (رومة) عزمُ الانبراطور على القضاء عليها ، فقررت القيام بعمل سريع قبـل مباغتة القيصر لها ، فألغت الاتفاق المعقود مع الرومـان في أيام (قلوديوس) ، وأمرت بمحو صورة (اورليليانوس) من النقود لتبرهن على قطع علاقتها بالقيصر ، وعدم اعترافها بسيادة (رومة) الاسمية عليها ، وأمرت بضرب صورة (وهبلات) وحده ، مع اللقب (الانبراطوري) المخصص بقياصرة (رومة) وذلك في السنة الخامسة من حكمه . وقد تلقبت الزباء نفسها بهذ اللقب في النقـود التي ضربت باسمها في الخارج . أما نقود (تدمر) ، فقد لقبت فيها بلقب (ملكـة)[1] ، ولقبت في مصر هي وابنها بلقب (أغسطس) . وهو لقب القيصر (أوريليانوس). وفي هذا التحدي الصريح ، دليل واضح على ما حدث من نزاع شديد في العلاقات السياسية بين تدمر وروما[2] .

وتفاوضت الملكة (الزبّاء) على رواية مع الملكة (فيكتوريا) (فيكتورية) (Victoria) عاهلة إقليم (الغال) ، لتوحيد الخطط في مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها ، وأمرت جيوشها بالسير الى (بيتينية) (Bithynia) فاستولت عليها ، وظلت تتقدم دون ملاقاة معارضة تذكر حتى بلغت (خلقيدون) بازاء (القسطنطينية)[3]. ويقال ان الملكة كانت قد أمرت بصنع عجلة فاخرة للدخول بها في موكب الظفر الى عاصمة الرومان[4] .

واضطرت الملكة لتنفيذ خطتها هذه الى سحب القسم الأعظم من جيشها المعسكر في مصر معتمدة عـلى دفاع المصريين انفسهم اذا هجم عليهم الرومان . فانتهز

---

١ Cooke, NSI, No : 131, Wadd., 2628.

٢ Ency. Brita., 17, P. 163.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٣) ، Oberdick, S., 84, Vaughan, P. 117, 130, 133.

٤ Oberdick, S., 83.

(اوريليانوس) هذه الفرصة فأرسل مدداً الى (بروبس) ، وكان القائد (زبدا) قد وصل الى مصر لمساعدة (فيرموس) نائب الملكة على صد الرومان . فوقعت معارك بين الفريقين كاد يكون النصر فيها للتدمريين لولا استمالة (بروبس) جماعة من المصريين ، فآزروه ودحروا جيش (زبدا) في سنة (٢٧١) للميلاد . واضطر التدمريون الى ترك مصر الى أعدائهم ، فكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزبّاء[١] . ومنذ (٢٩) أغسطس من سنة (٢٧١ م) انقطع في الاسكندرية ضرب النقود التي تحمل صورة الزباء ووهبلات[٢] .

ولا نعرف اليوم شيئاً من الموارد التأريخية عن الأثر الذي تركه انتصار (بروبس) في مصر على التدمريين . ولكننا نستطيع أن نقول انه وقع وقعاً عظيماً على الملكة (الزباء) . فخسارة مصر على هذه الصورة ، كانت خسارة كبيرة عليها ، ولا بد أن تكون قد أثرت فيها ، فقد مكنت الرومان من القضاء على سلطان الملكة في تلك البقعة المهمة وجعلت في امكانهم تهديدها من الجنوب ، كما ان توقف جيشها عند (خلقيدون) ، وعدم تمكنها من الاستيلاء على (نيقية) وتوقف خططها العسكرية الهجومية ، ثم اتخاذها خطة الدفاع ثم التراجع ومجيء(أورليانوس) بقوات كبيرة نحو الشرق ، كل ذلك قد يكون نتيجة من نتائج هذا الاندحار الذي مني به جيش الملكة وأحزابها الموالية لها بمصر ، فأضعف معنويات التدمريين ومن كان يواليهم وشدّ من أزر الرومان ومن كان يناصرهم .

قاوم أهل (خلقيدون) التدمريين ، وأبوا التسليم لهم ، وأرسلوا الى القيصر لينجدهم ، ويظهر ان الملكة عرفت حراجة وضعها العسكري ، وعدم استطاعتها التقدم ، فقررت التراجع الى مواضع جديدة تدافع فيها عن نفسها اذا هاجمها الرومان . وقد هاجمها الرومان فعلاً ، اذ عبر القيصر مضيق (البسفور) وفاجأ التدمريين في (بيثينية) في أواخر سنة (٢٧١ م) أو أوائل السنة التالية،وأجلاهم عنها ، ثم سار الى (غلاطية) (Galatia) و (قفادوقية) (Cappadocia) حتى بلغ (أنقرة) (Ancyra) ، فسلمت له . وأخذ الرومان يتقدمون بسرعة الى بلاد الشأم[٣] .

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٤) .
٢ Oberdick, S., 84.
٣ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٤) ، Oberdick, S., 87.

أفزع تقدم الرومان السريع الزباء ورجالها ولا شك ، وأخذت المدن التي كانت تساندها تشك في تمكن الملكة من الدفاع عن نفسها ، وشاعت بين الناس قصص عن نهاية تدمر وخرابها بأيدي الرومان وعن سقوطها لا محالة ، أثيرت مع وصول أنباء اعتزام القيصر القضاء على حكم الملكة واخضاع (تدمر) لحكم الرومان . ومن يدري ؟ فلعل الرومان وأنصارهم وأعوانهم وجواسيسهم هم الذين صنعوها وأذاعوها بين الناس لإماتة همة جيش الملكة وأعوانها ، والايحاء اليه انه مغلوب لا محالة وان ارادة الآلهة قد قضت بذلك ولا رادّ لها . فكان من بين ما أشيع ان معبد (الزهرة) في (أفقة) (Aphaca) أنبأ الحجاج التدمريين الذين حجّوا قبل سنة من سقوط مدينتهم ، يستفتون (الزهرة) فيما سيحل بهم في السنة المقبلة بمصير سيء سيلحق بتدمر ، وان كارثة ستنزل بهم ، أنبأهم بذلك على عادة المعبد في موسم الحج الذي يلي الموسم الذي سئل فيه السؤال[1] .

وكان من بين ما أشيع تخرّصات زعم أنها صدرت من معبد (أبولو) (Apollo) تنبيء بزوال دولة التدمريين ومشيئة الآلهة بانتصار (أورليانوس) على الزباء ، وتخرصات تزعم أن الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تنبأ بها عن تدمر ، إذ كان قد قال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، إنه عيد هلال (ترمود) (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت (تمود) (Tamud) وقد هلكت » . وورد ان الحبر (أشه) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، انهما شيئان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الآخر مقامه » . ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)[2] .

الى غير ذلك من تخرصات أوحت بها دعاية الرومان ، وأعداء الملكة من يهود ومن قوميات أخرى قهرتها (الزباء) فأذاعتها بين الناس ، لافهامهم أن من العبث مقاومة القيصر وجنوده ، وان من الخير ترك المقاومة والاستسلام ، وأن اليوم الذي ستحرر فيه تلك الشعوب من حكم الملكة آت قريب ، لأن ارادة الآلهة قضت ان يكون ذلك ، ولا رادّ لأمر الآلهة : نعم ، لم تصدق الملكة العاقلة

---

١ Zosimus, I, 54, 57, 58.

٢ Oberdick, S., 80, Jebam, 17b.

الحكيمة بهذه الخرافات ، فحاربت . ولكن عقول العامة لم تكن على شاكلة عقل الملكة ، لقد أثرت فيها هذه الدعاية ، وقضت على معنويات التدمريين الوثنيين الذين يدينون بهذه الخرافات ويؤمنون بها ، وما زال من طرازهم خلق كثير في القرن العشرين الميلادي هذا .

تهيأت الملكة (الزباء) لملاقاة (أورليانوس) عند مدينة (أنطاكية) (Antiochia) ، وكانت هي على رأس الجيش فارسة تحارب في الطليعة . أما القيادة ، فكانت لقائدها (زبدا) . وفي الوقعة الأولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية فشتتوا شملها ، فأمر القيصر جنوده بالرجوع الى مسافات بعيدة ، ليوهم التدمريين أنه قد فرّ ، فإذا ساروا في أثرهم وابتعدوا عن قواعدهم باغتهم بالهجوم ، فلا يتمكن فرسان تدمر من الهزيمة لثقل أسلحة الفرسان ومعداتهم وبطء خيلهم بالقياس الى خيل الرومان . وهو ما حدث . فقد خُدِع التدمريون وظنوا رجوعهم هزيمة ، فتعقبوهم الى مسافات بعيدة ، وفجأة انقلبت الكتائب الرومانية على التدمريين ، وأطبقوا عليهم ، وأعملوا فيهم السيوف وانهزموا هزيمة منكرة الى مدينة (انطاكية) . وفي هذه المدينة قرّ رأي الملكة على ترك أنطاكية والارتحال عنها بسرعة لأسباب ، منها وجود جالية يونانية كبيرة فيها كانت تفضل حكم الرومان على حكم الشرقيين عليهم ، وقد كان لها النفوذ والكلمة في المدينة . ومنها نفرة النصارى من الملكة بسبب موقفها من (بولس السميساطي) الذي قرر مجمع (انطاكية) عزله من وظيفته ، فلم تنفذ الملكة قرار المجمع ، وتركته يتصرف في أموال الكنيسة ، ولم تكتف بذلك بل عينته (Procurator Decenarius) على المدينة ، أي انها جعلته الرئيس الروحي والدنيوي على الانطاكيين . أضف الى ذلك كره اليهود الذين في المدينة للتدمريين . وقد نفذت الملكة هذا القرار في اليوم الذي دخلت فيه جيوشها المدينة ، فأمرت قائدها بتركها والسير الى (حمص) فوراً . وفي اليوم الثاني دخل (أورليانوس) تلك المدينة وأعطاها الأمان[1] .

وتعقب القيصر أثر الملكة ففتح جملة مدن حتى بلغ (حمص) (Emisa) ، وهناك وجدها على رأس جيش قوامه سبعون الفاً في مفازة عريضة تقع شمالي المدينة.

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٥) ،
Oberdick, S., 92, Ritter, Erdkunde, 17, 2, S., 1160, 8, Zosimus, I, II; 50; 51; PP. 44.

فاشتبك الرومان والتدمريون في معركة حامية ربح فيها التدمريون الجولة الأولى ، فولى الرومان مدبرين مذعورين تفتك فيهم سيوف تدمر . غـير ان القيصر حزم رأيه ، وأدرك وجود ضعف في خطة قتال الملكة ، سببه ابتعاد فرسان تدمر عن مشاتهم في أثناء تعقب فرسان الروم ، فأمر جنوده بالهجوم على مشاة التدمريين ، ولم يكونوا في التدريب والقابلية مثل مشاة الرومان ، فمزقوا مشاة الملكة كل ممزق وحلت هزيمة منكرة عامة بجيش الزباء اضطرتها الى ترك (حمص) وتفضيل الرجوع الى عاصمتها تدمر للدفاع عنها ، فلعل البادية تعصمها منه وتمنعه من الوصول اليها. ودخل القيصر مدينة (حمص) ، فتوجه بالشكر والحمد الى إلـه (حمص) (الشمس) قاطعاً على نفسه عهداً ان يوسع المعبد ويجمّله ويزينه أحسن زينة، مقدماً له نذوراً هي أكثر ما غنمه من الغنائم من التدمريين[1] .

أدرك القيصر ان النصر الحقيقي لن يتم له الا بالقبض عـلى (الزباء) وفتح (تدمر) ، وانه لن يدرك هذا الا اذا سار هو بنفسه على رأس جيشه لفتـح تلك المدينة . لذلك قرر الزحف اليها بكل سرعة قبل أن تتمكن الملكة من تحصين مدينتها ومن الاتصال بالفرس وبالقبائل العربية الضاربة في البادية ، فيصعب عندئذ الاستيلاء عليها . فسار مسرعاً حتى بلـغ المدينـة برغم الصعوبات والمشقات التي جابهت الكتائب (اللجيونات) الرومانية في أثناء قطعها الصحراء ، وألقى الحصار على (تدمر) القلعة الصحراوية الحصينة ، غير ان المدافعين عنهـا قابلوه بشدة وصرامة برمي الحجارة والسهام والنيران على جيشه وبالشتائم والسخرية والهزء ترسل اليه من أعالي السور . ويظهر ان (رومة) سمعت بذلك فسخرت من عجز القيصر عن احتلال مدينة صحراوية ، ومن التغلب على امرأة ، فساء (أورليانوس) ذلك كثيراً ، فكتب الى مجلس الشيوخ يقول : « .... قد يستضحك مني بعض الناس لمحاربتي امرأة .... فاعلموا ان الزبـاء (Zenobia) اذا قاتلت كانت أرجل من الرجال .... »[2] . وبعثت سخرية أهل تدمر وهزؤ أهل (رومة) منه في القيصر عزماً جديداً على فتح المدينة ودكها دكاً مهما كلفه الأمر ، ليمحو عنه هذه الوصمة

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) ،
Oberdick, S., 102, Zosimus, I, 53, Flav. Vop. Aur., 25, Gibbon, I, P. 256.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،
Oberdick, S., 108, Flav. Vospicus Aur., 26-27, Hist. August., P. 218, Wright, P. 167, Gibbon, I, P. 266.

المخجلة التي لحقت به . فكاتب الملكة طالباً منها التسليم والخضوع للرومان لتنال السلامة وتستحق العفو ، فيسمح لها بالاقامة مع أسرتها في مدينة يعينها مجلس الشيوخ لها . أما جواب الملكة ، فكان: « انّ ما التمسته مني في كتابك لم يتجاسر أحد من قبلك أن يطلبه مني برسالة . أنسيت ان الغلبة بالشجاعة ، لا بتسويد الصفحات . إنك تريد أن أستسلم لك . أتجهل أن كليوبترة (كليوبطرة) قد آثرت الموت على حياة سبقها عار الدّبرة . فها أنا ذي منتظرة عضد الفرس والأرمن والعرب (Saracens) لفل شباتك وكسر شوكتك . واذا كان لصوص الشأم قد تغلبوا عليك وهم منفردون ، فما يكون حالك إذا اجتمعتُ بحلفائي على مقاتلتك . لا شك أنك ستذل وتخنع لي فتجرد نفسك من كبريائها التي حملتك على طلب المحال كأنك مظفر منصور في كل أين وآن »[1] .

لم ينجد الفرسُ ملكة الشرق ، ولم يرسلوا اليها مدداً ما . فقد كانوا هم أنفسهم في شغل شاغل عنها . توفي (سابور) الأول في عام (٢٧١) للميلاد ، فتولى (هرمز) (Ormidus) الملك من بعده ، وكان رجلاً ضعيفاً خائر القوى ، فعزل بعد سنة قضاها ملكاً . وظهرت فتن داخلية بسبب ذلك لم تسمح للفرس وهم في هذه الحال أن يرسلوا قوة لمساعدة ملكة البادية عدوّة (أورليانوس) قيصر الروم . وأما القبائل ، فأمرها معروف ، إنها مع القوي ما دام قوياً ، فإذا ظهرت عليه علائم الضعف ، صارت مع غيره . تحرش قسمٌ منها بجيوش الرومان المحاصرة للمدينة وهاجمتها ، غير أنها منيت بخسائر فادحة ، فتركت التحرش بالمحاصرين . ورأى قسم منها الاتفاق مع القيصر ، ففي الاتفاق الربح والسلامة. وما الذي يجنيه سادات القبائل من ملكة محاصرة ، لم يبق من ملكها غير مدينة في بادية وثروة سيستولي عليها الرومان . وإن بقيت لها فلن يصيبها منها ما يصيبهم من القيصر من مال كثير . ومن لقب وجاه يأتيهم من حاكم مدني قوي . وقد عرف القيصر فيهم هذه الخصلة فاشترى أنفس الرؤساء بالمال . فأمن بذلك شر القبائل ، وسلم من عدو يحسب لعداوته ألف حساب[2] .

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،
Oberdick, S., 109, Flav. Vop. Aur., 26, 27, Wright, P. 157, Vaughan, P. 173.

٢ Oberdick, S., 108, III.

ولما رأت الزباء ان ما كانت تأمله من مساعدة الفرس والقبائل والأرمن لم يتحقق ، وان ما كانت ترجوه من مساعدة الحظ لها بإطالة أمد الدفاع لاكراه عدوها على فك الحصار والرجوع لم يتحقق كذلك ، وان وضع القيصر قد تحسن بوصول مدد عظيم اليه من الشأم وبوصول مواد غذائية اليه كافية لاطالة مدة الحصار ، قررت ترك عاصمتها للأقدار ، والتسلل منها ليلاً للوصول بنفسها الى الفرس علهم يرسلون لها نجدة تغيّر الموقف وتبدّل الحال . ودبرت أمر خطتها بكل تكتم وهربت من مدينتها من غير ان يشعر بخروجها الرومان ، وامتطت ناقة واتجهت نحو الفرات ، ولعلها كانت تقصد الوصول الى حصنها (زنوبية) ومنه الى الفرس[1] . على كل حال ، فقد حالفها الحظ في أول الأمر ، فأوصلها سالمة الى شاطىء النهر ، عند (الدير) (دير الزور) قريب من (زلبية)[2] (Halebiya) ثم خانها خيانة فظيعة . فلما علم (أورليانوس) بنبأ هرب الملكة ، أيقن ان أتعابه ستذهب كلها سدى ان لم يتمكن من القبض عليها حية . لهذا أوعز الى خيرة فرسانه وأسرع رجاله باقتفاء أثر الملكة والقبض عليها مهما كلفهم الأمر . وقال الحظ كلمته . انه سيكون في جانب القوي ما دام الناس في جانبه . نقل فرسان القيصر الى موضع وجود الملكة على الشاطىء ، في اللحظة الدقيقة الفاصلة الحاسمة بين الموت والهلاك والدمار وبين العز والسلطان واسترجاع ما ذهب من ملك . كانت الملكة تهم بوضع نفسها في زورق لينقلها الى الشاطىء الثاني من نهر الفرات. ولو عبرت لتغير اذن كل شيء . واذا بالفرسان ينقضون عليها ويأخذون (ملكة الشرق) معهم مسرعين الى معيد الشرق للرومان : (Recepto Orientis) ، وهو على رأس جنوده يحاصر هذه المدينة العنيدة التي أبت الخضوع لحكمه والتسليم له[3].

من الباحثين من يرى ان الملكة هربت من نفق سري يصل معبد المدينة بالخارج يمر من تحت السور له باب سري خارج الأسوار أعدّ لمثل هذه المناسبات ، أو من أنفاق أخرى ، اذ يصعب تصور خروج الملكة ليلاً من مدينتها ولو بحفر نفق في السور دون أن يشعر بذلك الرومان . ويستشهدون على صحة رأيهم هذا

---

١ Oberdick, S., III.

٢ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨) م ،
Wright, P. 160, Freya Stark, Rome, P. 367.

٣ « Recepto Igitur Orientis », Flav. Vop. Aur., 25.

بالسراديب والقنوات التي ترى بقاياها تحت أسوار تدمر وقلاعها الى اليوم[1] .

أحضرت الزبّاء أمام القيصر ، فقال لهـــا : « صرت في قبضتنا يا زينب ، ألست أنت الـــتي أدت بك الجسارة الى أن تستصغري شأن قيصر روماني » . فأجابت : « نعم ، إني أقر لك الآن بكونك قيصراً ، وقد تغلبت عليّ . وأما غاليانوس وأورليوس وغيرهما ، فلست أنظمهم في سلك القياصرة . وإنما بارتني فيكتورية في السلطنة والعز ، فلولا بعد الأوطان لعرضت عليهـــا أن تشاركني في الملك »[2] . فأثرت كلمات الملكة في نفس (اوريليانوس) ، فمنحها الأمان . وقد أثر أسرها في نفوس التدمريين المتحصنين في بلدتهم ، فرأى قسم منهم الاستمرار في الدفاع وعدم تسليم المدينة مهما كلف الأمر ، ورأى قسم آخر فتـــح الأبواب والتسليم ، وصاحوا من أعلى الأسوار في طلب الأمان ، وفتحوا له أبواب المدينة في بدء السنة (٢٧٣) للميلاد[3] . فدخلها دخول الظافرين ، فقبض عـــلى حاشية الملكة السابقة ومستشاريها ومن كان يحرض على معارضة الرومان ، واستصفى أموال الملكة وجميع كنوزهـــا ، وأخذ الزبّاء ومن قبض عليهم معه وتوجه بهم الى (حمص)[4] .

وتذكر بعض الروايات أن القيصر كان اول ما فعله عند دخوله الى المدينة أن توجه الى معبد الإلـه (بعل) (Bel) ، فشكر الإلـه وحمده على توفيقه له ونصره له على أهل تدمر . ثم اختار له قائداً نصبه على (تدمر) اسمه (Sandarion) على رواية و (Apsaeus) على رواية أخرى ، ليحافظ على الأمن ويحكم المدينة . وجعـــل في إمرته حامية فيها سبّائة من الرماة ، ثم غادر تدمر تاركاً أمرها الى هذا القائد[5] .

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., III, Ritter: Erdunde, XVIII, 2, S., 1521.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., 112, Ritter, Erdunde, XVII, 2 Hist. August., P. 199, 218, Wright, PP. 160, Vospicus Aurel., C. 28, Zosimus, I, I, C. 55, P. 50, Gibbon, I, P. 267, Trebellius Poll., 30, Tyr., 29.

٣ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) ، Leopold Von Ranke: BD., 5, S., 189.

٤ Zosimus, I, 56.

٥ Vaughan, P. 187.

وفي حمص كما زعم المؤرخ (زوسيموس) (Zosimus) حاكم القيصر الملكة وأصحابها (استحضر القيصر سلطانة تدمر وأشياعها فلما مثلت بين يديه ، جعلت تعتذر اليه وتتنصل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى قرفت كثيرين من أصحابها بأنهم أصلوها بسوء نصائحهم وورطوها في الغرور . وكان من جملة الذين وشت بهم عند القيصر (لونجينوس) .... فحكم عليه القيصر من ساعته بالموت بعد أن مثّل به . فكابد لونجينوس العقاب بشجاعة وصبر جميل حتى انه عند وفاته كان يعزى أصدقاءه وأقاربه . وكذلك نكّل بكل من تجرمت زينب عليه)[1] .

وقد اختلف الباحثون في صحة رواية هذا المؤرخ ، فمنهم من شك فيها ومن هؤلاء (الأب سبستيان رتزفال) الذي نقلت ترجمته العربية لرواية (زوسيموس) فقد استبعد صدور الوشاية والخيانة من ملكة كانت على جانب عظيم من سموّ الأخلاق والثقافة[2] . ومنهم من اعتقد بصحتها وسلّم بها ولام الزباء على صدور مثل هذا العمل الشائن منها، ومن هؤلاء المؤرخ الألماني (مومزن) (Mommsen) الشهير في تأريخ الرومان[3] .

وغادر (أورليانوس) مدينة حمص الى (رومة) ومعه (الزباء) وأبناؤها وعدد من الأسرى أراد إلحاقهم بموكب النصر الذي سيقيمه عند دخوله العاصمة ليتفرج عليهم الناس . وفي أثناء عبور (البسفور) غرق عدة من أصحاب (الزباء) في جملتهم (وهبلات) على رواية المؤرخ (زوسيموس)[4] . وبينما كان القيصر في (تراقية) (Thrazien) اذ جاءته الأخبار تنبيء بثورة أهل تدمر على قائد المدينة (سنداريون) (Sandarion) الذي عيّنه القيصر حاكماً على تدمر[5] ، وبظهور ثورة أخرى في مصر بطلها (فيرموس) (Firmus) الثري الشهير . وكان هدف الثورتين واحداً، هو التحرر من حكم الرومان والحصول على الاستقلال،

---

١ أخذت ترجمة رواية (زوسيموس) من مجلة المشرق السنة الاولى ، الجزء ٢٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ١٠٥٩) ، راجع الاصل في :
Zosimus, I, I, C. 56, P. 49, 51, Vopiscus: Hist. August., P. 219, (Aurel. C. 30)

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) .

٣ Oberdick, S., 113, Georg Finaly: Griechenland unter Römern, 1861, Leipzig, S., 104, Mommsen, The Provinces of the Roman Empire, Vol., II, P. 748.

٤ Zosimus, I, 58, ZDMG., 1864, S., 748.

٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

فأنفق (فيرموس) وهو من كبار رجال المال في العالم في ذلك الحين أموالاً كبيرة على الجمعيات الوطنية المناهضة لرومة ، وألّف جيشاً تمكن به من الاستيلاء على الاسكندرية ، وجمع حوله أشياع (الزباء) في مصر ، ولقّب نفسه بألقاب القياصرة ، وأخذ يتفاوض مع التدمريين في توحيد الخطط والعمل بجد في تقويض الانبراطورية الرومانية في الشرق[1] .

وقرر القيصر الاسراع في العودة الى الشرق لمعالجة الحالة قبل فوات الوقت ، فوصل الى (تدمر) بسرعة كبيرة أذهلت المدينة الثائرة ، فلم تدرِ ما تصنع . كانت قد قتلت القائد (سنداريون) (سوداريون) (Sandarion)[2] ، وفتكت بالحامية الرومانية، ورفعت راية العصيان في الشرق وتزعمت الحركة الوطنية المعادية للدخلاء وتبنتها ، فبأي وجه ستقابل (أورليانوس) القيصر المتغطرس الجبار ؟ وماذا سيكون موقفه منها ؟ وهي في وضع حرج لا تأمل الحصول على مساعدة لا من الفرس ولا من المصريين . وتداعت المدينة بسرعة حينما مثل أمامها الرومان وسلّمت نفسها للقيصر ، فسلّمها هو غنيمة الى جنده يفعلون بها ما يشاءون بغير حساب .

عفا القيصر (أنطيوخس) عن أقارب الزباء ، وكان التدمريون أقاموه ملكاً عليهم . ولم يعف عن الرعية فتناولتهم سيوف الرعاع من جنود (رومة) وخناجرهم من غير تمييز في العمر أو تفريق في الجنس[3] . وأباح القيصر لجنوده تهديم أبنية المدينة ، فدُكّت الأسوار وهدمت الأبراج وقوضت الأبنية[4] ، حتى ان القيصر نفسه رق قلبه على من تبقى حياً من المدينة ، فكتب الى (Cerronius Bassus) قائد المدينة أن يصفح عنهم ، وأن يعيد بناء هيكل الشمس الى ما كان عليه ، وكان جنود (اللجيون) الثالث قد نهبوه وخربوه ، وأمر بالانفاق عليه وبتزيينه وتجميله من الأموال التي استصفيت من خزائن (الزبّاء). وطلب من مجلس الشيوخ في (رومة) ارسال كاهن ليدشن المعبد[5] . وأرسل

---

١ Oberdick, S., 115.

٢ (سوداريون) : المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

٣ Oberdick, S., 116, Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336.

٤ Vaughan, PP. 208. . المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠)

٥ Flavius Vopiscus Aur., C. 31, « Cerronius Bassus », Wright, P. 163, Flavius Vopiscus: Hist. August., P. 21, Vaughan, P. 209.

بعض نفائس الهيكل الى عاصمته لتوضع في معبد الشمس الذي أقامه هناك ، ومنها أعمدة مصورة[1] . غير أن ما أفسده الدهر لا يصلحه العطّار . ولم يتمكن القيصر من اصلاح ما أفسده الدهر على يديه . فلم يعد المعبد معبداً كما كان ، ولم تعد (تدمر) تدمر الزباء .

وقبل أن يرحل (اوريليانوس) عن أرض تدمر ، غزا الفرس . ويظهر أنه غزا قوة كانت قد أرسلت لمساعدة (تدمر) ، فأرجعها على أعقابها . ثم عيّن قائده المحنك (ساترنينوس) (Saturninus) بدرجة (Dux) قائداً على الحدود لحمايتها من الفرس[2] ، وتوجه الى مصر للقضاء على ثورة (فيرموس) ، فكان الحظ فيها حليفه . احتل الإسكندرية وقبض على التاجر الحاكم ، الذي لقب نفسه قيصراً ، فأمر بمعاقبته بعقاب السرّاق واللصوص ، أي بصلبه على الصليب[3] . وبذلك أعاد معيد الشرق الى الرومان الشرق المنفتل منهم مرة أخرى الى الرومان .

بعد هذه الانتصارات وانتصارات أخرى أحرزها في غالية ، عاد الى عاصمته في سنة (٢٧٤) للميلاد في موكب قيصري عظيم وصفه المؤرخ (Flavius Vopiscus) وصفاً رائعاً ، اشترك فيه (١٦٠٠) مصارع وعدد غفير من الأسرى من مختلف الأقوام ، ومن بينهم الملكة الزباء ومعها أحد أبنائها ، وقيل كلاهما ، وبعض رعاياها ، وثلاثة عجلات ملكية : عجلة (أذينة) زوج الزباء وهي مزينة بالذهب والجواهر ، وعجلة أهداها (هرمز بن سابور) الى القيصر ، وعجلة (الزباء) الخاصة التي أعدتها لتدخل فوقها منتصرة عاصمة الرومان . وتقدم الموكب عشرون فيلاً وعدة وحوش وحيوانات جيء بها من فلسطين وليبيا ومصر وأماكن أخرى. سار الى (الكابيتول) ثم الى قصر (الانبراطور) . واحتفل الشعب في اليوم الثاني احتفالاً خاصاً كانت فيه ألعاب مختلفة وكان فيه تمثيل وسباق مختلف الأنواع[4] .

كان هذا الاحتفال نهاية فصل وبداية فصل جديد ، قضى على الملكة أن تقبع

---

١ Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 116.

٢ Oberdick, S., 118.

٣ Flavius Vopiscus, Aur., C. 32, 45, Firmus, C. 2, Hist. August., P. 219, Oberdick, S., 118, Gibbon, I, P. 268.

٤ Oberdick, S., 119, Flavius Vopiscus Aur., C. 33, Hist. August., P. 220, Gibbon, I, P. 269.

منذ نهايته في بيت خصص بها في (تيبور) (Tibur) مع أولادها ، وأن تعتزل السياسة والشرق . عاشت في عزلة في هذه البقعة من ايطالية ، ولم يتحدث عنها مؤرخو عصر (أورليانوس) شيئاً بعد أن صارت من سواد الناس . ويظهر ان ما ذكره بعض المؤرخين اليونان عن زواج الزباء بعضو من أعضاء مجلس الشيوخ هو أسطورة من الأساطير العديدة التي راجت بعد ذلك عن حياة ملكة الشرق[1] . وأما أولاد الملكة، فقد ذكرتُ قريباً ان بعض المؤرخين أشار الى غرق (وهبلات) في أثناء عبور القيصر مضيق (البسفور) . وأشار آخرون الى انه نقل مع أمه الى (رومة) . وأما (تيم الله) (Timolaus) ، فأسكن مع أمه أيضاً في (تيبور). وزعم في رواية انه مات مع أخيه (خيران) (حيران) (Herennianus) في أثناء الاحتفال بموكب النصر . وزُعم أيضاً انه عاش وصار خطيباً مصقعاً من خطباء (اللاتين)[2] . وروي أيضاً انها زوجت بناتها بأعيان من الرومان . وروى المؤرخ (تربيليوس بوليو) (Trebellius Pollio) ، وهو من رجال القرن الرابع للميلاد (حوالي سنة ٣٠٤ م) ، ان ذرية الزباء كانت في ايامه[3] . وذكر ان الأسقف الشهير القديس (زنوبيوس) (Zenobius) أسقف مدينة (فلورنسة) ومعاصر القديس (أنبروسيوس) (Ambrosius) كان من نسلها أيضاً[4] .

ولم تكن تدمر في عهد (ديوقليطيانوس) (ديوكليتيانوس) (Diocletian) (Diocletian) (٢٨٥ — ٣٠٥ م) سوى قرية صغيرة وقاعة من قلاع الحدود لحمايتها من هجمات القبائل وغزوها للمدن القريبة من البادية[5] . ويخبرنا المؤرخ (ملالا) أن (ديوقليطيانوس) ابتنى (Castra) فيها ، وذلك بعد عقده الصلح مع الفرس[6] ، ورمم بعض ابنيتها . ويرى (الأب سبستيان رتزفال) أنه اضطهد نصارى تدمر كما فعل في سائر الأقاليم[7] .

---

١ Oberdick, S., 120.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) .

٣ Oberdick, S., 120, Trebellius Pollio, 20.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، Oberdick, S., 120, Eutrop, 9, 13, Hieron, Chron., P. 758, Vol., Baronius, Ann., III, P. 146.

٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، Oberdick, S., 116

٦ Oberdick, S., 117, Malalas, S., 308.

٧ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

وفي حوالي القرن الخامس للميلاد (٤٠٠ م) كانت تدمر مقاطعة تابعة لولاية (فينيقية) وقد عين (تاودوسيوس) (تيودوسيوس) (ثيودوسيوس) الثاني (٤٠٨ — ٤٥٠ م) فرقة من الجند لحراسة (تدمر)[١] . والظاهر أن وظيفتها كانت حماية الحدود من هجمات رجال البادية . أما الكتيبة الرومانية التي عسكرت فيها في حوالي سنة (٤٠٠) بعد الميلاد ، فهي (اللجيون الأليري) (Illyrian) الأول[٢] .

وذكر الراهب (إسكندر) (Alexander the Acoemete) المتوفى في حوالي سنة (٤٣٠) للميلاد أنه في أثناء سفره من الفرات الى مصر قابله الجنود الرومان المعسكرون في القلاع بكل ترحاب وقدّموا له ولمرافقيه كل المساعدات الممكنة ، وانه وجد قلاعاً مقامة على طول حدود الفرس والروم على مسافات تتراوح من عشرة أميال الى عشرين ميلاً رومانياً . وقد قطع الحدود هذه حتى بلغ مدينة (سليمان) ، ويقصد بها مدينة تدمر[٣] .

وأمر القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ — ٥٦٥ م) في أوائل تبوئه الحكم (٥٢٧ م) (أرمينيوس) (Armenius) بالذهاب الى (تدمر) لترميم ما تهدم من المباني واعادة المدينة الى ما كانت عليه . وأمده بالأموال اللازمة لهذا المشروع[٤] ، كما أمر بتقوية حامية المدينة ، وان تكون مقر حاكم (Dux) مقاطعة (فينيقية لبنان) (Phoenice Libanesia) وذلك لحماية الحدود خاصة حدود الأرض المقدسة[٥] ، وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان القيصر المذكور قوى أسوار المدينة وقلاعها وحصنها تحصيناً قوياً ، وحسن موارد

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ،
Oberdick, S., 117, Wright, P. 169, Notitia Dign Orien., P. 84, 380, (Ed. Bocking).

٢ Ency: Brita., 17, P. 163, Notitia Dign., I, 85.

٣ Musil: Palmyrena, P. 248, De S. Alexandra Fundatore Acoemetorum, Constantinopli, in: Bolland «Acta Sanctorum» P. 1025, Edition, E. De Stoop: Vil d'Alexandre Acémété, in: Patrologia Orientalis, P. 683.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117.

٥ Oberdick, S., 117, Procoptus: De Aedif. Just., II, II, De Bello Persico, 2, I, P. 88, Theophanus, Chro., I, P. 267, (Ed. Bonn), Malalas, P. 426, Syria, VII, 1926, P. 77.

مياهها . ولا تزال آثار هذا العهد باقية حتى الآن[1] .

وقد كانت مدينة (تدمر) على الحدود الداخلية (Limes Interior) للانبراطورية في أيام (يوسطينيانوس)[2] . ويسكن في المناطق التي بين هذه الحدود وبين الحدود الخارجية (Limes Exterior) القبائل المحالفة للرومان . ومن هـذه المنطقة تغزو القبائل الحدود[3] . وقد كان سلطان الروم وقواتهم العسكرية أقوى في الحدود الداخلية منها على الحدود الخارجية التي كان يقوم بالدفاع عنها رجال القبائل الحليفة بالدرجة الأولى بأجور ومخصصات تدفعها الحكومة الى رؤسائها لضمان حماية تلك الحدود .

وقد كانت القبائل العربية قبل الميلاد وبعده تقلق راحة سكان الحدود وتزعج الحاميات الموكول اليها أمر سلامتها ، وتكون مصدر خطر دائم للحكومات . وكان من الصعب الاطمئنان اليها . ثم ان البادية كانت تصدّر لهم بين حين وآخر بضاعة جديدة منها ، وموجة عنيفة تزعج القبائل القديمة والحدود معاً ، فكان على تلك الحكومات مداراتها واكتساب ود القوية منها، ويقال ان القيصر (دقيوس) (Decius) (٢٤٩ — ٢٥١ م) سئم في زمانه من هذا الوضع وبرم به ، ففكر في ادخال الرعب في نفوس هذه القبائل وقهرها ، فجاء بأسود اصطادها من افريقية في البادية لتتناسل وتتوالد ولتكون مصدر خطر ورعب للأعراب[4] .

وقد اتخذ بعض ملوك الغساسنة تدمر منزلاً لهم ومحل اقامـة . ولم تزل على هذا الشأن حتى فتحها المسلمون سنة (٦٣٤ م)[5] . غير انها منذ تركتها الزباء لم ترجع الى ما كانت عليه . وقد أثر تحول الطرق التجارية في مركز هذه المدينة كثيراً ولا شك .

وانتهت الينا أسماء عدد من أساقفة مدينة (تدمر) مدونة في سجلات الأعمال الكنسية ، منهم : الأسقف (مارينوس) (Marinus) وقد حضر المجمع النيقاوي (Nicaa) (Nicaea) الذي انعقد سنة (٣٢٥) للميلاد[6] ، والأسقف (يوحنا) (٣٥٧ م) وقد ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .
٢ Musil, Palmyrena, P. 248, Theophanes, Chronographia (Migne), Col : 404.
٣ Musil, Palmyrena, P. 248.
٤ Musil, Palmyrena, P. 247, The Chronicon Paschale, (Migne), Col : 669
٥ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٦٣) .
٦ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117.

المنعقد عام (٤٥١ م)[1] ، و (يوحنا) الثانـــي المشهور في أيام (انستاس) (أنسطاس) (نسطاس) القيصر (٤٩١ — ٥٨١ م) . وكان نفي في عهـــد (يوسطينوس) خليفته لدفاعه عن (المجمع الخلقيدوني) ولقوله بطبيعتـــين في المسيح سنة (٥١٨ م)[2] . ويستدل من وجود أساقفة في تدمر على انتشار النصرانية في هذه المدينة .

وفي (تدمر) في الزمن الحاضر ثروة تأريخية مطمورة تحت الأنقاض ستفيدنا ولا شك فائدة كبيرة في تدوين تأريخ المدينة وتأريخ صلاتها بالخارج . لقـد عثر فيها على كتابات أفادتنا كثيراً في تدوين تأريخ المدينة . ولكن ما سيعثر عليه منها مما هو مطمور سيفيدنا أيضاً ، وقد يفيدقا أكثر في كتابة تأريخها . وقد قام علماء بالتنقيب في مواضع منها ، للكشف عن المواقع المهمة منها ، وكتبوا عنها[3] . غير ان المدينة لا تزال في انتظار من يكشف عتها .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء اصنام عديدة عبدها التدمريون ، بلغ عددها زهاء اثنين وعشرين صنماً ، منها ما هو معروف ومشهور عند العرب ، وأسماؤها أسماء عربية . ومنها ما هو إرمي ، وعلى رأس آلهة تدمر الإلـه (شمش) (شمس). وقد اتصفت دياناتهم بمزايا النظام الشمسي الذي تركزت عليه ديانة عرب الشمال. ومن هذه الأصنام (بل) ، أي (بعل) ، و (يرح بل) (يرح بول) (يرح بعل) ، و (عجل بل) (عجل بول) و (عجل بعل) ، و(الت) أي (اللآت) ، و (رحم) (رحيم) ، (اشتر) أي (عشتار)، و(عثتر) عند العرب الجنوبيين[4] ، و (ملك بل) (ملك بعل)[5] ، و(عزيزو) (عزيز)

---

١ Oberdick, S., 117.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

٣ Syria. Tome, VII, 1926, PP. 70, « Recherches Archéologiques a Palmyre », by Albert Gabriel, PP. 128, Syria, Tome, XI, 1930, PP. 242, Tome, XVII, 1936, PP. 229, Bounni A, Les Annales Archéologues de Syrie, Vol., 15, 1965.

٤ Ency. Brita., 17, P. 163, Syria, Tome, IX, 1928, PP. 101, Tome, XIII, 1932, PP. 139, Tome XIV, 1933. PP. 171, J. Février, La Religion des Palmyreniens, PP. 57.

٥ Syria, XIV, 1933, P. 182.

و (سعد) ، و (اب جل) ، و (اشر)[1] ، و (بل شمن) (بل شمين) (بعل شمين)، أي (بعل السماوات) (رب السماوات)[2] و (جد) (جد بعل)، وغيرها .

وعثر في تدمر على مقابر عديدة خارج أسوار المدينة على التلال المشرفة عليها تذكّر الأحياء عبّاد المال بالمصير المحتوم الذي سيواجه كل حي غني أو فقير أو متوسط ، تضم رفات من تستقبلهم ثم لا تسمح لهم بالانتقال منها الى دار أخرى. انها دور الأبدية والاستقرار ، وقد أجاد أهل المدينة كل الاجادة باطلاقهم (بيت الأبدية) على القبر[3] . ضمت بيوت الأبدية هذه رفات الآباء والأبناء الى الأبد : بعضها على هيأة أبراج ذوات غرف تودع فيها الموتى ، وبعضها على هيأة بيوت ذوات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الزخرفة كتبت على جوانبها أسماء ساكنيها في الأبدية ورسمت صورهم عليها[4] . هذه هي مدينة الأموات تشرف على مدينة الأحياء وتضحك منها .

حصن (زنوبية) :

لم تفكر (الزباء) ، على ما يظهر ، في نقل عاصمتها الى موضع آخر ، وقد عملت على تقوية (تدمر) وتحصينها وتجميلها ، ومعظم الآثار الباقية فيها هي من أيامها . ولو ان كثيراً من الأبنية التي كانت فيها قبل أيام الملكة قد صيّرت باسمها ، غير انها عُنيت عناية فائقة بتحسين عاصمتها ولا شك . وابتنت مدينة على نهر الفرات لحماية حدودها من الشرق عرفت بـ (زنوبية) وهو اسمها باليونانية . ويظهر ان هذه المدينة هي التي أشار اليها (الطبري) بقوله : « وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطىء الفرات الغربي »[5] .

---

١ Syria, XV, 1934, PP. 173, Tome XVIII, 1937, P. 9, XVIII, 1937, 198, Baethgen, Beitrage zur Semitischen Religionglschichte, S., 84.

٢ Syria, XVIII, 1937, P. 5, REP. EPIG., 30, Tome, I, I, P. 28.

٣ Ency. Brita., 17, P. 162, Syria, XXVI, 1949, PP. 87, « La Tour Funeraire de Palmyre », by Ernest Will, Wood, The Ruins of Palmyra, PL. 56.

٤ Ency. Brita., 17, P. 162.

٥ الطبري (٢/٣٢) .

فجعل المدينة قصراً ، وصيّر اسم المدينة وهو (زنوبية) (زبيبة) وجعله اسم أخت للزباء . وذكر (المسعودي) ان مدائن الزباء على شاطىء الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، (وكانت فيما ذكر قد سقفت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية ، وجعلته أنقاباً بين مدائنها)[1] . وذكر أيضاً انهـا حفرت سرباً من تحت سريرها وبنته حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختهـا[2] . وقد أشير الى هذا النفق في قصة مقتلها . وذكر (ابن الكلبي) ان أبا الزبّاء اتخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن لأختها داخل المدينة[3] .

وذكر (البكري) ان المدينة التي بنتها الزباء على شاطىء الفرات هي (الخانوقة) ، وزعم ان (الزبّاء) (عمدت الى الفرات عند قلة مائـه فسكر ، ثم بنت في بطنه ازجاً جعلت فيه نفقاً الى البرية وأجرت عليه الماء ، فكانت اذا خافت عدواً دخلت الى النفق وخرجت الى مدينة اختها الزبيبة)[4] . وسمى (ياقوت الحموي) تلك المدينة (الزباء) ، قال : انها (سميت بالزباء صاحبة جذيمة الأبرش)[5] . ودعاها في موضع آخر (عزان)[6] وقال : إنّ في مقابلها على الضفـة الثانية من الفرات مدينة تدعى (عدان) ، وهي لأخت الزبّاء[7] .

ويظهر ان هرب (الزبّاء) سراً من نفق سري ، يمر من داخل المدينة من معبدها او من قصر الملكة ومن تحت السور الى الخارج ، هو الـذي أوحى الى أهل الأخبار قصة ذلك النفق الطويل الذي زعموا أن الملكة بنتـه تحت الأرض من قصرها الى نهر الفرات ، حيث مدينتها الثانية ، وهو نفق يجب أن يكون طوله مئات من الأميال . وقد عثر على بقايا سراديب وقنوات تحت أسوار تدمر وقلاعها تشير الى وجود أنفاق للهرب منها عند الاضطرار[8] ، ولكنها لا يمكن أن تكون على شاكلة نفق أهل الأخبار بالطبع .

---

١ مروج (٢/١٩) .
٢ مروج (٢/٢١) .
٣ الطبري (٢/٣٤) (طبعة المطبعة الحسينية) .
٤ البكري ، معجم (١/٣٢٠) ، (طبعة وستنفلد) .
٥ البلدان (٤/٣٧٢) .
٦ البلدان (٦/١٢٦) .
٧ البلدان (٦/١٢٦) .
٨ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., III, Ritter, Erdkunde, XVII, 2, S., 1521.

ولا يستبعد احتمال وجود نفق في حصن (زنوبية) على الفرات أيضاً، ساعد وجوده في تثبيت هذه القصة في رواية الأخباريين .

ويرى (هرتسفلد) (E. Herzfeld) أن هذه المدينة هي الموضع الذي يعرف اليوم باسم (الحلبية) ، ويقابله في الضفة الثانية من النهر موضع آخر يسمى (الزليبية) . وهو يعارض رأي من يدعى أن (الزليبية) هي المدينة التي بنتها الزبّاء . وينسب بناء موضع (حلبية) (الحلبية) الى (الزبّاء) كذلك[1] . ويرى بعض الباحثين احتمال كون (الحلبية) القصر الثاني الذي نسب بناؤه الى الزبّاء ، وذكر في الروايات العربية . وذهب بعض آخر الى أن (زنوبية) هي مدينة (السبخة) الحالية[2] .

ويرى (موسل) أن (الحلبية) هي (دور كرباتي) (Dur Karpati) (Nibarti Aschur) التي بنيت بأمر (آشور نصربال الثالث) (Asurnazirpal) عام (٨٧٧) قبل الميلاد ، وأنها عرفت بـ (زنوبية) ثم (الزبّاء) فيما بعد[3] .

ويعزو (سبستيان رتزفال) سبب بناء مدينة (زنوبية) الى عزم الملكة على اذلال مدينة (فولوغيسية) (Vologasia) (Vologesias) المعروفة في الكتابات التدمرية باسم (ألجيسيا) (Ologesia) (ألجاشيا) ، وهي في نظر بعض الباحثين (الكفل) على نهر الفرات في لواء الحلة بالعراق ، بناها (فلوجاس) (فلوكاس) من ملوك (الأرشكيين) (بنو أرشك) حوالي سنة (٦٠) للميلاد . وذلك لاستجلاب التجارات الواردة عن طريق نهر الفرات من أقاصي الهند والشأم وآسية الصغرى[4]. فرأت (الزبّاء) منافسة هذه المدينة ببناء مدينة جديدة تقع في منطقة نفوذها على نهر الفرات .

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الـ ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢٠) ،
Friedrich Sarre und Ernst Herzfeld, Archäologische Reise im Euphart und Tigris-Gebiet, Berlin, 1911, I, S., 167, II, 365.

٢ المشرق ، السنة الاولى ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ،
Sarre — Herzfeld, Archäologische, I, S., 164.

٣ Musil, Euphrates, P. 331, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, (1861-1884), Vol., I, PL. 24, Col., 3; II, 49, Budge and King, Annals, 1902, PP. 360.

٤ المشرق ، السنة الاولى (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ، سماها (الأب رتزفال) (الكفيل) ،
Rostovtzeff, Melange Gloz, 749, Seyrig, Syria, XIII, 1932, P. 272.

وكانت قوافل (تدمر) تتاجر مع هذه المدينة العراقية (ألجاشيا) ، تحمل اليها بضائع الشأم وسواحل البحر المتوسط ، وتنقل منها الى (تدمر) بضائع الهند وايران والخليج والعراق . يقود هذه القوافل زعماء شجعان خبروا الطرق وعرفوها معرفة جيدة ، ولهم في المدينة مقام محترم . وطالما عمل لهم رجال القافلة والمساهمون في أموالها ، التماثيل ، تقديراً لهم وتخليداً لأسمائهم وكتبوا شكرهم لهم على الحجارة، ولدينا نماذج عديدة منها . من ذلك كتابة دوّنها رجال قافلة لزعيمهم وقائدهم (يوليوس أورليوس زبيد بن مقيمو بن زبيدا عشتور بيدا) ، لأنه أحسن اليهم حين قاد قافلتهم وأوصلها سالمة الى (الجاشيا) في العراق . وكتابة أخرى دوّنها جماعة قافلة تولى قيادتها زعيم اسمه (نسى بن حالا) لمناسبة توفيقه في حمايتهم وحماية أموالهم في أثناء ذهابهم وعودتهم الى (الفرات) والى (ألجيسيا) (Ologesia) وقد صنعوا لذلك تمثالاً له في شهر (نيسان) من سنة (١٤٢) للميلاد تخليداً لاسمه[١] .

وقد استولى (خسرو) الأول في حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد على(زنوبية) فدمّرها . فلما استرجعها (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م) ، أعاد بناء ما تهدّم منها . وقد عثر على بقايا المباني التي تعود الى أيامه ، وبعضها من عمل معماريه (يوحنا البيزنطي) و (أزيدوروس الملطي) (Isidoros Miletus) حفيد البنّاء البيزنطي الشهير (أيا صوفيا) (Hagia Sophia) كلفهما القيصر انشاء تلك العمارات[٢] . غير ان اصلاحات هذا القيصر لم تضف الى حياة المدينة عمراً طويلا ، لقد كانت نوعاً من أنواع الحقن المقوية، تقوّم الجسم الى حين ولكنها لا تمنحه الأبدية . ففي سنة (٦١٠) للميلاد . وفي أيام القيصر (فوقاس) (Phokas) هاجمها (خسرو) الثاني وأنزل فيها الخراب والدمار[٣] . فقد عبر (شهربراز) (Shahrvaraz) نهر الفرات في اليوم السادس من شهر (أغسطس) من عام (٦١٠) للميلاد ، واستولى على مدينة (زنوبية) (Zenobia)[٤] . وأخذ نجمها منذ ذلك الحين في الأفول ، فلم يسمع

---

١ REP. EPIG., I, VI, P. 342.
٢ Sarre-Herzfeld, Archäologische reise, I, S., 167, II, S., 365.
٣ Land, Anecdota Syriaca, I, 16. المصدر نفسه ،
٤ Musil, Euphrates, P. 332.

عنها شيء ، حتى انها لم تذكر في أخبار الفتوح ، ويدل هـذا على أنها لم تكن شيئاً يذكر في ذلك الحين[1] .

ويحدثنا المؤرخ (بروكوبيوس) أن الأيام أثرت في مدينة (زنوبية) (Zenobia) مدينة (الزباء) ، فأنزلت فيها الخراب ، وتركها أهلها ، فانتهز الفرس هـذه الفرصة ودخلوها وتمكنوا بذلك من الولوج في الأرضين الخاضعـة للروم دون أن يشعر الروم بذلك ، ولذلك أعاد (يوسطنيانوس) بناء هذه المدينة وأحكم حصونها وجدد قلاعها وأنزل الناس فيها ، وأسكن فيها حامية قوية جعلها تحت امرة قائد، وأقام لها سدوداً من الحجارة لحمايتها من فيضان الفرات ، وقد كانت مياه الفيضان تصل اليها فتلحق بها أضراراً جسيمة[2] .

وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أن الفرس والروم ابتنوا قلاعاً بنيت جدرانها باللبن لحماية كورة (قوماجين (Commagene) وهي الكورة التي كانت تعرف قبلاً باسم (كورة الفرات) (Euphratesia) ، وحماية حدود الانبراطوريـة الفارسية الواسعة المشرفة عـلى البادية من الغزو أيضاً . ومن جملة هذه الحصون ثلاثة حصون أمر القيصر (ديوقلطيانوس) (ديوقليتيانوس) (Diocletianus) ببنائها ، منها حصن (Mabri) (Mambri) الذي أصلحه القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) ورممه . ويقع على مسافة خمسة أميال رومية من (زنوبية) (Zenobia) . و (Mambri) ، هو خرائب (شيخ مبارك) على مسافة سبعة كيلومترات من (الحلبية)[3] .

ولم يبق من آثار عهد (تدمر) في (الحلبية) إلا مقابر خارج أسوار المدينة. وهي على هيأة أبراج تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق وأهرام بنيت على الطريقة التدمرية في بناء القبور ، غير أنها دونها كثيراً في الصنعة وفي الفن . وتشاهد بقايا قبور مشابهة لهذه القبور في المدن الواقعة في منطقة الفرات الأوسط ، أي المنطقة التي خضعت لنفوذ حكومة (تدمر)[4] .

---

١ Land, Anecdota Syriaca, I, 16, Sarre-Herzfeld, Arch., I, S., 167, II, S. 365.

٢ Procopius, De Bello Persico, II, 5, 4-7, Musil, Euphrates, P. 332.

٣ Musil, Euphrates, P. 332, Procopius, De Aedificus, II, 8, 4-8.

٤ Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367.

ويلاحظ انتشار هذا النوع من القبور في المناطق التي سكنها العرب في أطراف الشأم والعراق في العهد البيزنطي ، خاصة في (تدمر) وفي (حمص) و (الرها) (Edessa) وفي (الحضر) كذلك[1] . بل وفي (بطرا) أيضاً حيث نجد شبهاً كبيراً في أشكال القبور المنحوتة من الصخر على هيأة أبراج ذوات رؤوس تشبه الهرم في بعض الأحيان . ولانتشار هذا النوع من القبور في مناطق سكنتها أغلبية من العرب المتحضرين ، نستطيع أن نقول انها نمط خاص من أنمـــاط بناء القبور كان خاصاً بالعرب المتحضرين[2] .

وذكر (بطلميوس) أسماء عدد من المواضع جعلها في عداد أماكن (كورة تدمر) (Palmyrena)[3]. وهي : (Resapha) و (Cholle) و (Oriza) و (Putea) و (Adaba) و (Palmyra) و (Adacha) و (Danaba) و (Goaria) و (Aueria) و (Casama) و (Admana) و (Atera) و (Alalis) و (Sura) و (Alamatha) ،وتقع هذه المواضع الثلاثة الأخيرة على نهر الفرات[4].

أما (Palmyra) ، فهي (تدمر) العاصمة . وأما (Resapha) ،فهي (الرصافة) وهي مدينة قديمة ورد خبرها في النصوص المسمارية فدعيت فيها بـ (Ra-sap-pa) ومن ذلك نص يعود الى سنة (٨٤٠) قبل الميلاد . وقد اشتهرت بوجود ضريح القديس (سرجيوس) (St. Sergius) بها ، المقدس عند الغساسنة[5] .

وأما (Cholle) ، فهي (الخولة) (الخلة) . وأمـــا (Oriza) ، فهي (الطيبة) ،وتقع هذه المواضع على السكة الرومانية الممتدة من الفرات الى (تدمر)[6].

ويرى (موسل) أن (Putea) ، هو (Beriarac) ، وهو موضع (بيار جحار) ، ويقع على السكة الرومانية المارة من (تدمر) الى موضع (Occaraba)[7].

---

١ Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367, W. Andrae, Hatra, II, S., 76-106.

٢ Sarre-herzfeld, Arch., II, S., 367, Eissfeldt, Tempel und Kulte Syrischer Städte in Hellinistisch-Römischer Zeit, 1941.

٣ Ptolemy, Geography, V, 14 : 19.

٤ Musil, Palmyrena, P. 233.

٥ Winckler, Keilinschriftliches Textbuch, 1909, S., 75, Musil, Palmyrena, P. 262.

٦ Musil, Palmyrena, P. 233.

٧ Musil, Palmyrena, P. 233.

أما المستشرقان (ميلر) (Müller)[1] و (موريتس) (Moritz)[2] ، فقد ذهبا الى أنه (أبو الفوارس) الواقع على مسافة سبعة كيلومترات في غرب جنوب غربي تدمر . وذهب (موريتس) أيضاً الى احتمال كونه (القطار) ، وهو على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً الى الشمال الشرقي من (تدمر)[3] .

أما موضع (Adada) ، فكان حصناً رومانياً كذلك ، يعرف في الزمن الحاضر بـ (الحير) ، ويقع على أربعة عشر كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من (الطيبة) (Oriza) ، وعند الحافات الغربية لمرتفع (Adidi) ،وهو اسم قريب من (Adaba)[4] وقد ذهب (ميلر) الى أنه الموضع المسمى بـ (خربة العاشجة) (خربة العاشقة) الواقع على الحافات الشمالية لهضبة تدمر[5] .

ويرى (موسل) أن في كلمة (Adacha) بعض التحريف ، وأن الأصل الصحيح هو (Archa) و (Harac) ، وهو (أرك) (رك) الواقع على طريق تدمر وفي الشمال الشرقي من المدينة[6] .

وأما (Danaba) ، فيقع على طريق (دمشق) (تدمر) ، وهو موضع خرائب (البصيري) على رأي (موسل)[7] .

وأشار المؤرخ (اصطيفانوس البيزنطي) الى (Goaria) كذلك ، ذكرها على هذا الشكل (Goareia)[8] . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في تلك الأيام ، واذ أطلق اسمها على منطقة واسعة دعيت باسم (Goarene) ،ويظن انها (البخراء) وهي في زمننا خرائب تقع على ستة وعشرين كيلومتراً الى الجنوب من (تدمر) . وقد عرفت بـ (Goareia) عند بني إرم (الآراميين)[9] . وذهب (ميلر) و(بينتزنكر) (Benzinger) الى ان (Goaria) هو الموضع المسمى بـ (Cehere)

---

١ Müller, Ptolemy, Geography, P. 983.
٢ Moritz, Palmyrena (1889), S., 8.
٣ Musil, Palmyrena, P. 233.
٤ Musil, Palmyrena, P. 233.
٥ Müller, Ptolemy, Geography, P .984.
٦ Musil Palmyrena, P. 234.
٧ Musil Palmyrena, P. 234.
٨ Stephen of Byzantium, Ethnica, P. 210.
٩ Musil, Palmyrena, P. 234.

على الخارطة الرومانية لأيام الانبراطورية[1] . وهو رأي يعارضه (موسل) ، ويرى ان (Cehere) هو المكان المسمى بـ (خان عتيبة) الواقع على مسافة تزيد على مئة كيلومتر في جنوب غرب (البخراء)[2] .

ويظهر ان (Aueria) (Aueira) (Aberia) ، هـو موضع (Eumari) (Euhara) (Euarius) في مؤلفات أخرى ، وهو موضع (الحوارين)[3] .

وأما (Casama) ، فهو على طريق دمشق المؤدي الى تدمر ، وهو خرائب خان (المنقورة) على رأي (موسل)[4] . وأمـا (Admana) (Odmana) (Ogmana) ، فهو موضع (Ad-Amana) في الخارطات الرومانية للانبراطورية على ما يظهر ، وهو موضع (خان التراب) على رأي (موسل) كذلك[5] .

وأما (Atera) ، فالظاهر انه موضع (Adarin) عـلى الخارطة الرومانية ، وهو موضع (خان الشامات) (أبو الشامات) (خان أبو الشامات) على رأي (موسل) . أما (ميلر) فيرى انه موضع (دير عطية)[6] ، وهو رأي لا يقره (موسل) عليه[7] .

وموضع (Sura) هو (سورية) على رأي (موسل) . وأمـا (Alalis) فيقع في غرب (Sura) عند (بطلميوس) . ويظن (موسل) أنـه يقع بين موضعي (Sura) و (Alamatha) في مقابل (طابوس)[8] .

عانة :

ذكرت أن التدمريين كانوا قد وضعوا حاميات لهم في مدينة (Anatha) ، أي (عانة)[9] . وهي لا تزال موضعاً معروفاً حياً على نهر الفرات في العراق .

---

١ Müller, Ptolemy, Geography, P. 984, Müller, Palmyrena, S., 22, Pauly-Wisowa, Real-Lex., BD., 7, 1547, Peutingerlana Tabua Itineraria, Wien, 1888.

٢ Musil, Palmyrena, P. 234.

٣ Musil, Palmyrena, P. 235.

٤ Musil, Palmyrena, P. 235.

٥ Musil, Palmyrena, P. 235.

٦ Müller, Ptolemy, Geography, P. 985.

٧ Musil, Palmyrena, P. 235.

٨ Musil, Palmyrena, P. 235.

٩ Berytus, Vol., VIII, Fasc., I, (1943), P., 25, 55, CIS, II, 3973, A. Cantineau Syria, XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234.

وعرفت (عانة) بـ (Anat) و (An-at) و (A-na-at) و (A-Na-Ti) في الكتابات المسمارية . وعرف موضعها بـ (خ ــ نا) (H-na) و (خا ــ نا ــ ت) (Ha-na-at) في النصوص البابلية القديمة . وقد تكونت مملكة صغيرة بهذا الاسم امتدت رقعتها الى الخابور ،وعرفت المدينة بـ (Anatha) في مؤلفات (الكلاسيكيين)[1].

ويشك المستشرق (أدور ماير) (Eduard Meyer) في وجود صلة بين اسم الإلـه (Ana-tu) (Anat) ، واسم مدينة (An-at) ، أي (عانة)[2] .

ومركز (عانة) الجزر الواقعة في النهر ، وهي خصيبـــة ، وفي مأمن من غارات الأعراب . وقد تمكن أصحابها بفضل موقعهم هذا من التحكم في القبائل المجاورة لها ومن أخذ الجزية منها . ولهذا السبب استعمـــل الآشوريون في الغالب رجالاً من أهلها لحكم منطقة (سوخي) (Suhi) . وفيها كان يقيم (ايلو ابني) (Ilu Ibni) حاكم (سوخي) الذي دفع الجزية الى الملك (توكلتي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta) (٨٨٩ ــ ٨٨٤) قبل الميلاد[3] .

وقد ذكر اسم (عانة) و (الحيرة) في الكتابة المرقمة برقم (Littmann 6)[4] . ويرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (٤٤٣) من التأريخ السلوقي ، أي شهـــر (سبتمبر) من سنة (١٣٢) للميلاد ، وورد فيها اسم الإلـه (شيع القوم) حامي القوافل والتجارات . ويظهر ان المراد بـ (حيرتا) الحيرة الشهيرة في العراق[5] . فإذا كان ذلك صحيحاً ، دل على ان نفوذ تدمر قد بلغ هذا المكان،وان للقصص الذي يرويه الأخباريون عن ملوك الحـيرة والزباء أصلاً تطور عـــلى مرور الأيام

---

١ Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 313, Ency., I, P. 344-345, G. Bell, in Georgr. Journ., XXXVI, P. 535, ZDMG., IXI; 701, Pauly-Wissowa, Real-Lexi., I, S., 2069, I, II, S., 104.

٢ Eduard Meyer, in ZDMG., 31, 1877, S., 716.

٣ Musil, Euphrates, P. 345, Sheil, Annales, PL. 3, (1909), II, 69-73.

٤ CIS, II, III, I, P. 156, 3973, Lidzbarski, Ephemeris für Semi Epigr., I, S., 345-346, REP. EPGR., 285, G. A. Cooke, NSI, NO : 140, Littmann, in Part IV, of the Puplications of an American Archaelogical Expedition to syria in 1899-1900, Palmyrene Inscriptions, NO : 6, P. 70, Syria, Tome IV, 1923, P. 156, Hartwig Derenbourg, un dieu Nabatéen, 1902, PP. 124, REP. EPIG. 285, I, IV, PP. 230.

٥ CIS, II, III, I, P. 157.

والموارد المتقدمة ، تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/٨١) .

فتكونت منه قصة (جذيمة) والزباء .

وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (عبيدو بن غانمو بن سعدلات) ، من قبيلة (روحو) أي (روح) ، وكان فارساً في حامية مدينة (عنا) وهي (عانة) . وقد دوّن كتابته هذه بمناسبة تقديمه مذبحين الى الإلـه (شيع القوم) الذي لا يشرب خمراً ، وهو حامي القوافل . ويلاحظ أن أكـثر الكتابات تذكر جملة (الذي لا يشرب خمراً) بعد اسم هذا الإلـه . وهي تعني أن هـذا الإلـه كان يشرب الخمر ولا يحبها ، فعلى أتباعه تجنبها . ويظهر ان طائفة من الناس حرّمت عليها الخمرة ، ودعت الى مقاطعتها ، واتخذت (شيع القوم) حامياً لها . وهي على نقيض عباد الإلـه (دسره) (دشرة) (Dussares) أي (ذو الشرى) الذين كانوا يتقربون إلى إلههم هذا بشرب الخمر[1] .

ولا نعرف متى استولى الرومان عليها . ولم يرد ذكرها في قائمـة (ماريوس مكسيموس (Marius Maximus) التي عثر عليها في (Dura) والتي يعود تأريخها الى سنة (٢١١) للميلاد في ضمن المخافر الرومانية التي كانت في المناطق الوسطى لنهر الفرات . ويظهر منها أن (عانة) (Anath) كانت في ذلك الوقـت في أيدي (الفرث) (Parthians) ، وأن الرومان دخلوها بعـد ذلك . قد يكون في أثناء حملـة (اسكندر سويرس) (Alexander Severus) كـما ذهب (روستوفسترف) (Michael Rostovtzeff) الى ذلك،أو في أيدي (غورديانوس) (Gordianus) كما ذهب (أولمستيد) (A. T. Olmstead) الى ذلك[2] .

وقد ذكر (عانة) (Anatha) المؤرخ (أريان) في أثناء حديثـه عن أسطول (تراجان) الذي مرّ بها . وورد اسمها (Anath) في خبر (معين) (Ma'ajn) أحد قواد الملك (سابور الثاني) (٣٠٩ — ٣٧٩م)،وكان قد اعتنق النصرانية وبنى جملة ديارات،ونصب القس على(سنجار) (شجار) (Schiggar) ،ثم لم يكتف بذلك ، فذهب الى (عانة) ، فبنى على شاطىء الفرات وعلى مسافة ميلين منها ديراً استقر فيه سبع سنوات[3] .

---

١ CIS, II, 182, Lidzbarski, Ephemeris, I, III, 1902, S., 345, REP. EPIG., I, IV, P. 232, Syria, Tome, IV, 1923, P. 156.

٢ Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 25.

٣ Musil, Palmyrena, P. 345.

وفي سنة (٣٦٣) للميلاد حاصرها الروم ، وألحقوا بها أضراراً كبيرةً . وأجلوا السكان عنها . ولما أرسل (فاراموس) (Varamus) (Varaious) في عام (٥٩١) للميلاد قوة على (عانة) لمناوشة (كسرى) (Chosroes) وصدّه عن الرجوع الى فارس ، قتل الجنود قائدهم ، وانضموا الى (كسرى) . وفي القرن السابع للميلاد ، كان مقر أسقف قبيلة (الثعلبية) في هذه المدينة[1] .

---

١ Ammianus Marcellianus, Rerum Gestarum, XXIV, I, 6-9, Musil, Euphrates, P. 346.

obeikandl.com